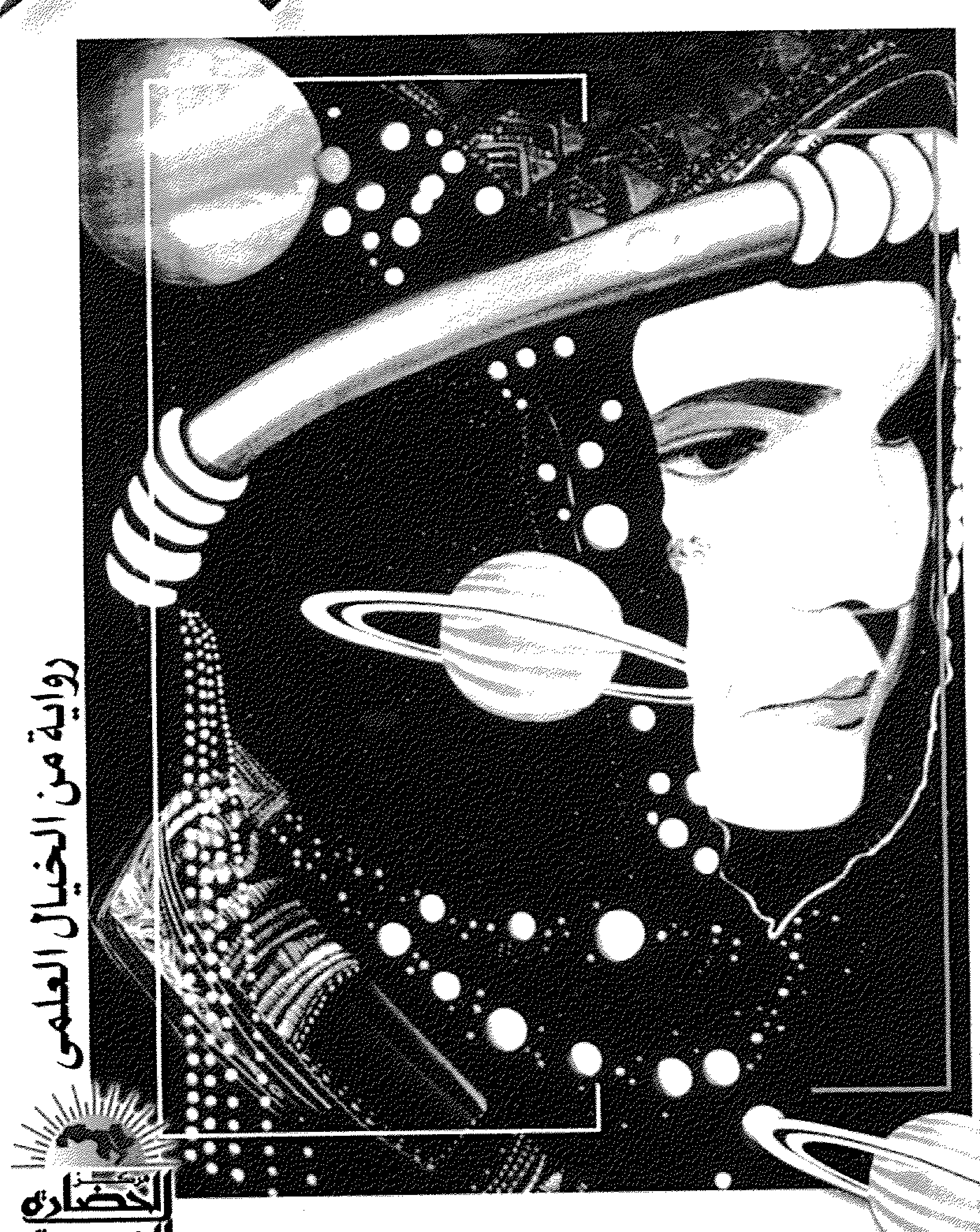
نهاد شريف

تحت المجهر



رواية من الخيال العلمي

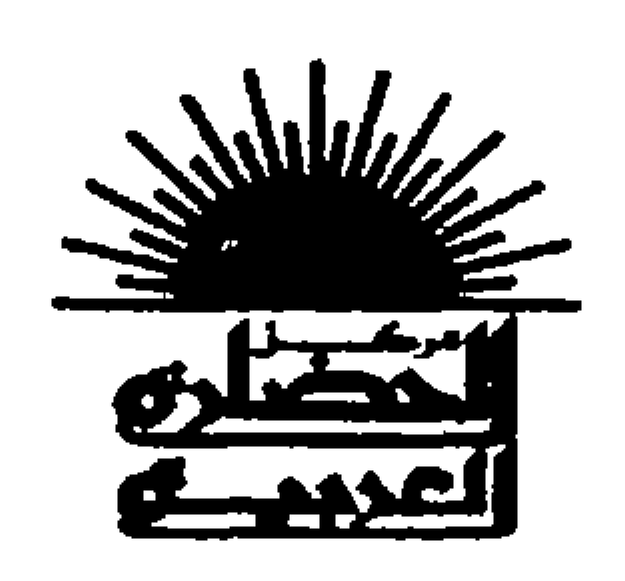
مركز الحضارة العربية

إهـــــــداء2006

الأستاذ / نهاد شريف

القاهرة

تحت المجهر



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس: 3448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com
alhdara_alarabia@hotmail.com

نهاد شريف

تحت المجهر

رواية من الخيال العلمى



الكتاب : تحت المجهر
رواية

الكاتب : نهاد شريف
(مصر)

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى : القاهرة ٢٠٠٦

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/١٤٩٥١
الترقيم الدولي : I.S.B.N.977-291-684-3

الغلاف
لوحة الغلاف: للفنان:
تصميم وجرافيك : ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكتروني :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : إيمان محمد
تصحيح: عبد الحليم فرحات

إهداء

إلى الذين يعتقدون بخلو الكون على اتساعه وترامي أنحائه من أية كائنات ذكية عدا من يسمون بالبشر، ويستقرون على واحدة من أصغر أجرامه يطلقون عليها "الارض"، إلى هؤلاء المعتنقين لمبدأ أن لا كائن واع ومفكر... يمتلك لإرادته ومنفذ لها غير الأسطورة المعروف بالإنسان...

إليهم أعلن صرختي أن كائنات الكون الواعية المتفهمة المترقبة... والمؤثرة على ما حولها... هي أكثر من أن تحصى وأعجب من أن يحاط بأسرارها وخفاياها وكنه وجودها وكم مواردها وفعالياتها... ومن ثم أدعوهم مخلصًا ليدققوا مثلي عبر مناظير المعرفة المتاحة... سواء بالاتجاه رصدًا لأعلى اختراقًا لأبعاد سحيقة... أو بالانحناء تفحصًا لأسفل... فيما تحت المجهر...

وعندئذ سيجدون أفكاري وآرائي متاحة... ومهداة لهم...

مع كل الحب وأعمقه.......

نهاد شريف

القسم الأول

"العينة"

[١]

الزمن يقارب توقيتًا يتوسط منتصف الليل وأول شروق الشمس، ومجموعة البيوت المعدنيــة ذوات الأســطح المائلــة والجــدران المتوهجة حانيا على قواعدها الدوارة، وهي تلف حول نفسها ببطء وسط السكون الموحش، جدول العين الفوارة هاجع عــن يمــين. وطريق الإسفلت الفسفوري الضيق ممتد عــن يســار، والظــلام المكسورة حدته يحاول عبثًا أن يبقى جاثمًا، فوق المنطقة وبطــول مساحات الرمال حولها، وحتى التحاقه شرقًا بالأفق البعيد.

لكن الأفق ينتفض، يلقط أربع بؤرات مضيئات، يكبرن.. يزددن سطوعًا.. ومن خلال نفق الأضواء القوية يبرز جسم معتم، يقبــل مندفعًا دون ما صوت خلف لهبًا أزرق، إنه حمالة من صاروخيات السير في دروب الصحراء.

وعوى ذئب جوعان من وراء التلال القريبة، وتوهج شهاب ثم هوى تاركًا خلفه ذيلا بطــول قبــة الســماء، وأبطــأت الحمالــة الصاروخية إلى أن توقفت أمام البيت حامل الرقم ١٤، وقد عكست على جدرانه أشعة كشافاتها فحولته وحولــت حديقتــه بســورها البلاستيكي الواطئ، وحولت دائرة متسعة تحيطه من مبان متجاورة ومن رقاع الزرع والتربة والرمال، إلى نهار جهير، بلا توان قفز رجل، سرعان ما أغرقه الضياء ليتضح قِصَر قامته وشيب شــعر رأسه وسوالفه كما بدا شديد بياض الوجه واليدين، يرتدي قميصًــا مخضرًا وسروالا رماديًا متهدلا، أما أنفه الأقنى فقد انزلق عليــه زوج من العوينات الزجاجية السميكة..

في عجلته لم يعن الرجال بإبطال محرك الحمالة الدائر، وحين خطا إلى السور لم يضغط زر المصـــورة التليفزيونيـــة المعطيـــة لتفاصيل القادم، وإنما دفع مصراعي الباب الذي قابله، ونفذ إلـــى الحديقة في كثير من التحدي واللامبالاة، وبخطواته الضيقة عبـــر وثبًا ممر النباتات المزهرة عريضة الأوراق، فلما بلـــغ الســـلمات الخمس طواها بدورها في قفزتين، ثم انتصب يطرق بابًا عريضًـــا يجامح قبضته طرقات عنيفة متلاحقـــة مزقـــت الســـكون. ودوت أصداؤها – في تلك الساعة الموغلة في التأخر – كتفجـــر قـــذائف يطلقها مجنون..

بعد برهة هتف صوت من الداخل: هه... من... من...؟

صاح الطارق في غلظة: أنا الدكتور خميس... افتح..

وأضيء مصباح وانفرجت كوة، وتلصصت عينان قبل أن ينفتح الباب في تردد..

- أين أبوك يا فتى؟ قالها وهو ينحي الصبي الذي اعترضـــه بمـــا عليه من نعاس ثقيل..

- أبي نائم في حجرته...

أومأ إليه في غطرسة... "أيقظه"

لكن صوتًا أنثويًا غاضبًا تعالى: كيف ذلك يا دكتور.. أفي هذه الساعة!!

تطلع إلى السيدة في نفاد صبر، لمحها ما تزال تطوي الـــروب حول بدنها بصدرها البارز وتسوي من شعرها حتى ياقة قميصها.

تمتم الدكتور خميس: أجل.. طالما جد أمر ملح يتطلب ذلك.

تفرست فيه: أي أمر تعني.. ثم.. إنه.. مريض للغاية..

- لا بد أن ينهض، ويأتي معي...

- مستحيل...

لكنه كان قد انفلت من جوارها ليرتقي الـــدرج إلـــى الطـــابق العلوي، ويقتحم الحجرة، ويضيء جدرانها ذاتية التألق، وينتصـــب على رأس الرجل المتوسد فراشه وقد أيقظته الضوضاء..

- هيا.. قم.. أبعد الكسل وتعال معي..

من خلال الدهشة الممزوجة بالاستنكار والوهن تمـــتم الرجـــل بينما يحرك هامته ويجاهد لرفع رأسه متبيناً مـــا حولـــه: دكتـــور خميس... تريدني معك.. إلى.. أين؟

- المعمل..

- ياه.. فجراً!!!

- باختصار.. فالذي اكتشفته تواً شيء مثير.. خطير.. فوق طاقتي وحدي، وأنا لا أقوى على تركه ساعة زمن أخـــرى بـــلا رأي قاطع تشاركني إياه..

تساءلت شفتا الرجل دون أن تنفرجا: وما الذي اكتشفته؟

- لن يكون للكلمات معنى ما لم تشاهده بنفسك..

- أشاهد ماذا؟

- كلماتي لن تفيدك.. متى وصلنا ستعرف..

وتشيح القسمات الوسيمة بعيدًا: أنا محموم.. عظامي تئن.. وكل جزء في بدني يـــ.... لكن يدي الدكتور خميس تسارعان بالمعطف غير آبه لتوسلات المريض، ولا لعبوس الزوجة واضطرابها، كان يتصرف وقد جمد وجهه. وبدت عيناه من خلف زجاج العوينـــات. باردتين.. مخيفتين..

وما أن لحظ كم الحيرة والإعياء على صاحبه حتى بادر بإسناده وهو يعتذر في صوت خلا من العاطفة: صدقني.. الأمر خطير بالفعل.. بل هو مريع.. مريع... للغاية..

ولا يجد المريض مفرًا من الترنح إلى أن يصلب قوامه. ويدس قدميه في فردتي الخف أسفل فراشه بعد أن أرغم على ارتداء المعطف الثقيل.. عندئذ ترتاع الزوجة فتحاول سد فرجة الباب بجسدها لا شعوريًا..

ويتفجر صوت الدكتور أو غضبه قبالتها مباشرة.

- سيدتي.. أرجوك.. لا جدوى من اعتراضنا، إني أصر على أخذ زوجك عماد إلى المعمل لدقائق ولو أدى الأمر أن أحمله حملاً، وأعدك أن أعيده لبيته بنفسي..

غلبت المرأة على أمرها، انزاحت جانبًا، وبقي الابن الصبي بعيدًا عن الفهم وعن اليقظة رغم وقوفه على قدميه، بينما انزوت الابنتان الطفلتان وقد استيقظتا متأخرتين لتتكمش كل منهما في حضن الأخرى.

حتى استدارت الحمالة الصاروخية بالرجلين، واندفعت مبتعدة آخذة معها أنوارها القوية.. بينما تخلف وراءها لهبها الأزرق والذي سرعان ما خبا وتبدد، لتعود السيادة للظلمة المحتضرة وهي تجاهد عبثًا لتبقي قبضتها على المكان برمته، وعلى عمق الصحراء الممتدة.. إلا أن خيوطًا باهتة الضياء تتفتح عندئذ وهي تتسلل فيما وراء التلال شرقًا.

☆☆☆☆

- تعال... اجلس هنا... وانظر..

على أن الدكتور عماد بقي لاهث الأنفاس يتكئ على حافة الطاولة الرخامية لدى مدخل القاعة، قيده مرضه فلم يستطع ملاحقة خطى زميله الذي سبقه، ففتح باب المعمل وأنار الجدران عن آخرها، ثم تبين أن عماد ليس بجواره..

"آه، أسف" ورجع الدكتور خميس ليمسك صاحبه ويقوده إلى حيث المقعد القابع قبالة مجهر ذي عدستين عينيتين للرؤية..

والآن.. انظر في المجهر وأخبرني ماذا ترى؟

أحنى عماد قامته، مد عنقه، أطال التحديق خلال عدستي الجهاز المستكين بين يديه، ومرت ثوانٍ.... قبل أن يرفع رأسه واجمًا ويهمس في غضب حقيقي.

- أهذا ما دفعك... لانتزاعي... من الفراش..

الترقب واللهفة يطغيان على مشاعر الدكتور خميس، ليزيد من توحش قسماته وقد تلاعبت بها انعكاسات آلاف البؤر الضاوية المثبتة بالحائط المواجه..

هتف مشجعًا: هه.. ما رأيك؟

قطب عماد جبينه: من ينكر؟ أنا أول المعترفين بحيلك وقدراتك التي طالما فاجأتني.. ببعضها.. لكن.. لم أتصور أن يصل إتقانك...

إلا أن الدكتور خميس تمتم مقاطعًا: يا رجل.. ركز بصرك أكثر، ليست هناك حيلة بالمرة..

لكن الدكتور عماد راح يلوح بطول ذراعه محتجًا، بينما يغلق عينيه ويلقي قفاه خلفًا في عناد.. - كفاني ما رأيت.. وإن كنت لا أدري كيف أتقنت تشكيلهم وبالتالي تثبيتهم في القاع!!! فأنت شديد

البراعة هذه المرة، فقط... كان بمقدورك أن ترجئ مشاهدتي لهم حتى أبرأ، أو على الأقل حتى يستكمل الغد ضياءه..

- يا للطيش وقلة الحيلة، بل يا له من حكم متسرع لأخرق.

ولكز خميس عماد في كتفه يستحثه أن يعاود الانحناء للنظر من المجهر..

- لم تصبر بما فيه الكفاية. أعد النظر مرة أخرى... تأنَّ... أرجوك...

ينصاع عماد في غيظ، يسلم عينه للمجهر مرغمًا، يتسلل عبر نفقيه وحواجز عدساته، تتفرش هذه المرة دقيقة طويلة صامتة، تضاف إليها دقائق أكثر طولا وملا، لكن بغتة تستقلص أصابع الباحث القابع برغمه حول قاعدة المجهر..

- ما.. ما الذي أراه... إن واحدًا من الأربعة يتحرك... لا بل اثنان... آه ثلاثة... ثلاثة يتحركون في حين يبقى الرابع مُلقىً على جانبه بلا حراك...

أخيرًا يجلس الدكتور خميس ويهتف منتشيًا: أرأيت... إنها بالفعل أجسام حية، لم يُر مثيل لها من قبل... هه... هه...

- أكاد لا أصدق عيني... يا لأشكالها المتناسقة المذهلة!!

- كما تتضح لنا، فهي كائنات جرثومية لكن تختلف عما نعرفه... ونألفه!

- سبحان الله... إنها... تشبهنا...

عندئذ يعود الدكتور خميس للوقوف ويلوح بقبضته متحديًا:

- أعرفت سبب إلحاحي الآن، لقد قصدت أن تشاركني العلم بوجود هذه الجراثيم على هيئة البشر، فلا احتمال لدي حتى يأتي الغد...

- إن... إن لها رءوسا وأبدانًا... وأذرعًا وسيقانًا...
- أليس هو ذات تكويننا؟!

غير أن الدكتور عماد اهتز في جلسته المحنية وصاح: ياه... واحد منهم... يتطلع في هذه اللحظة إلى أعلى... في اتجاهي...

فلاحقه الدكتور خميس وقد بلغت مشاعره مداها: علّه يراقبنا بدوره...

لكن عماد رفع عينيه عن المجهر، أراح ظهره على مسند مقعده وحدق بعيدًا وهو يطلق آهة، ثم شرد ببصره بينما يعبث بخصلة من شعره تتدلى فوق أذنه... "يا إلهي... كائنات مثلنا وتبلغ هذه الأحجام المتناهية في الضآلة... كيف يكون ذلك؟!"

على أنه سرعان ما اعتدل، وألقى بعينيه إلى أغوار عيني زميله العجوز المتحفز... ليهمس في فضول شديد: كيف عثرت عليها؟

- في شريحة جديدة أخذتها منذ نحو الساعة، من ذات العينة الكونية التي جلبتها محطتنا الفضائية "الباحث ٢٠٩"...
- تقصد عينه الجو المحيط بفوبوس، قمر المريخ فاقع الصفار، التي تسلمناها منذ الشهرين... لقد فحصنا مكوناتها وكتبنا تقريرًا عنها... أليس كذلك؟

عبس وجه الدكتور خميس، مد ساقيه وعقد ذراعيه في عصبية واضحة:

- لم أكن مستريحًا للنتائج التي سجلناها في التقرير، أو قل هي الحاسة السادسة التي دفعتني إلى مزيد من الفحص والنقض، فرغمًا عن تسجيلات الأشعة واختبارات الغازات والمكونات المختلفة، أحسست نقصًا يعتري هذه العملية بالذات، فعدت أبذل جهدًا إضافيًا مع عشرين شريحة جديدة انتقيتها بنفسي...

ثم أومأ برأسه تجاه المجهر وتابع:- وها هي ذي النتيجة تشمخ تحت بصرنا أبلغ من أي كلام...

وينسى العالم الشاب نزلة البرد التي تحتـل جسـده وعظامـه وترفع حرارته، وينكب على عيني المجهر مرة أخرى، ومـرات. وقد صفت روحه وشفت مشاعره، وألغى كل وجود له عدا الـذي يتركز هناك، تحت... لدى نقطـة ضـئيلة ثلاثيـة تحـوي آلاف التساؤلات والتحديات...

☆☆☆☆

قاعدة الجلف الكبير الرئيسية ويميزونها (بالأم) بقعـة تمـوج بالحركة وسط موات الصحراء، فهي تختص بكافة أبحاث الفضاء بالغة التعقيد والسرية، وهي الأكبر مساحة والأكثر أهمية عن تلك القاعدة الأخرى التابعة لها وتبعد ٤٠ كيلو مترًا شمالا ويسـمونها الجلف الفرعية وتضم منصات إطلاق الصواريخ الكونية فحسـب، ولا تشابه بين القاعدتين إلا في شيء واحد مخيف، فهما تقبعان معًا في عمق الصحراء، في أكثر مناطق جمهورية مصر نأيًا ووحشة ونسيانًا... لكن في مساء ذلك اليوم شهدت القاعدة (الأم) أمرًا غير مألوف، ففي عجلة وبلا إعداد سابق عقد ثلاثة من أهـم رجالهـا اجتماعًا مغلقًا في أكثر أماكن القاعدة خفية عن الأعين... فبـداخل حجرة الطوارئ المشيدة أسفل تحصين فولاذي يمتد بارتفاع بنايـة من ستة طوابق، بعد أن هبطوا بمصعد السحب المـوجي، وبعـد تنقلهم على الأرضيات المنزلقة واختيار أحد لسانين متحركين فـي اتجاهين متضادين ليوصلهم إلى مبتغاهم، احتل في النهاية جانبًا من الأريكة الدائرية كل من عالم الفيزياء خميس بدر الـدين وزميلـه عالم الفلك عماد علام، في حين اختار قائد القاعـدة اللـواء عبـد

الرحمن محمد مقعدًا خفيفًا مواجهًا لهما، وكان ثلاثتهم قد دلفوا إلى الحجرة الخالية من المنافذ إلا باب الدخول عقب أن دققوا النظــر وأطالوه توّا في هذه الأشياء الجرثومية الغامضة عبــر المجهــر المستكين على المنضدة الرئيسية بمعمل العالمين، في قلب حجــرة الطوارئ ذاتها...

وفي أعقاب عشرين دقيقة تالية من الشرح المستفيض لم تتحــرك خلالها عضلة واحدة في وجه اللواء عبــد الــرحمن محمــد طيــار المقاتلات النفاثة السابق والحائز على نجمة سيناء، والمسئول الحــالي عن حياة ١٢٥٠ فردًا هم قوة القاعدتين (الأم) و(الفرعية) من العلمــاء والأخصائيين وصفوة العسكريين... هب الرجل واقفًا. خطا مــتمهلا وقد شبك يديه خلف ظهره وأخذ يتمتم في جدية واقتضاب:

- الملامح الضبابية التي أريتماها لي عبر المجهر منذ دقائق، وما تفضلتما بإعلانه وإيضاحه حولها، إنمــا يشــكل أمــرًا بــالغ الخطورة قوميًا بل وعلى مستوى كوكبنا... بأكمله... وأنتما قبل غيركما تعرفان معنى أن نلتقي بكائنات تفد من عمق الكــون، مهما كان حجمها أو تكوينها... أو مدى تعقلها!!.

أوضح الدكتور عماد والذي بدا أنه قد استرد عافيته: لم تزل في طور المشاهدة والفحص الخارجي...

ولاحقه اللواء عبدالرحمن: أنا أتفهمك... لكن الرؤية المبدئيــة محيرة... كم هو مذهل حقًا الذي شاهدناه!

بينما يتابع الدكتور عماد: فهل هي كائنات عاقلة رغم كونها على هذه الضآلة، أم أنها مجرد أشكال وقوالب تظل جرثومية ليس إلا...

أضاف الدكتور خميس وهو ضائق الصدر: المشكلة من وجهة نظري تأخذ أبعادًا أخرى، فحتى لو ثبت أن لهذه الكائنات نوعًا من

الإدراك والفهم فأنى لنا بمشاق الاتصال بها، كيف... وهي تستكين بعيدًا بعيدًا... وإن بدت في تناول أنفاسنا؟!

كان اللواء عبد الرحمن يوليهما ظهره اللحظة، الرجل أضجره الجلوس فراح يخطو على مهل وهو يفكر ثم توقف على حين غرة، واستدار يواجههما متحدثًا في اتزان...

- معكما كل الحق... فرغمًا عن الرؤية التي يستحيل تكـذيبها، لا تزال كل الحقائق غائبة، ومن هنا فلا مفر من حجب الموضوع برمته. ولو لبعض الوقت عن القاهرة... أليس هذا صوابًا؟

رغم صمت العالمين فقد نطقت قسماتهما بالإيجاب...

- حسن... سيظل الأمر سرًا بيننا نحن الثلاثة إلـى أن تجاهـدا، وكافة إمكاناتي وعوني معكما لنحصل على براهين مؤكـدة لا تقبل الشك... وساعتها... سوف يتاح للقاهرة أن تزف للعـالم أجمع مفاجأة العصر...

واستفسر الدكتور خميس: والقاعدة الفرعية؟

- مثلها مثل العاصمة، لن يعرف مخلوق هنا أو هناك أو فـي أي مكان، غير الحقائق الدامغة، متى توصلنا إليها...

ولم ينقطع النقاش بين الرجال الثلاثة حول الكشف العجيب، إلى أن أشرق صباح اليوم التالي.

☆☆☆☆

[٢]

لم ينم الدكتور خميس غير ساعتين أسترد بعدهما حيويته وكامل نشاطه، وإذ تبين له فقده شهيته للطعام فقد بادر من فوره بالإسراع إلى حجرة المعمل التي يعتبرها جلده الثاني... وبمجرد دخوله أغلق الباب خلفه، وانكب على المجهر في تحفز وتحد وكأنه موشك على معركة حربية كبيرة، ومن خلال العدسات المقربة أمعن النظر ودقق في إصرار، إلى أن خيل إليه وكأن كيانه قد شُفط ومر عبر الثقبين، هابطًا إلى ذلك العالم المتناهي في الصغر، الحافل بالعجب...

كانت الكائنات الجرثومية الأربعة ما تزال على حالها الذي شاهده بالأمس، تقبع وسط ذلك الهشيم الناعم الذي بدا من خلال المجهر خشنًا مدببًا وكأنه نسبة لأحجامهم كأكوام من الأحجار الصخرية بنية وحمراء وبرتقالية داكنة الألوان... وأمعن في مراقبته بدقة ويقظة اثنين من الأربعة كانا يجلسان على صخرتين متقابلتين وقد اندمجا فيما يشبه مشادة حامية، والثالث بدا عليه التوتر والقلق أثناء وقوفه مستقيمًا وهو يلوي عنقه مثبتًا وجهه المسطح لأعلى في اتجاه بصر الدكتور خميس المطل عليه من وراء عدستي المجهر... أما رابعهم فرآه مستلقيًا على جزء مُعرّى من قوام شريحة الزجاج وسط الأحجار الصخرية دون حراك، فهل يعاني مرضًا ما؟ وسرعان ما رجح الدكتور خميس الفرضية التي توصل إليها، "فبينما غيرت الكائنات الثلاثة أماكنها وراحت تتجول وتبدل من وقفاتها وحركاتها، فإن رفيقهم الرابع ظل على رقدته

مستكينًا وكما كان حاله منذ بداية اكتشافهم فجـر أول الأمـس"... وضيق الدكتور خميس من نظرته الشاملة على مـا يـراه بقـاع عدستي المجهر، مركزًا على واحد من الكائنات دون غيـره، ثـم انتقل إلى ثانٍ، فثالث. وحتى استقر على الرابع المسجى طريحًا بلا حراك، كان يتفحص أرديتهم هذه المرة إلا أنه لم يتبين أي دثـار يغطي أيًا منهم... وتحير... كيف لهم باقتحام أجواء الكون شـديدة الضراوة بلا أردية، ولو احتموا بجدران مركبة أو أية وسيلة نقـل غيرها فهل يقوون على مجابهة خارجها؟ لكن شيئًا ضوى واختفى استرعي انتباه الرجل بؤرة ما لمعت على كتف أحد الكائنات، تلتها بؤرات غيرها، طولية وعرضية تومض لتختفي في الحال، وليلحظ في النهاية أن أربعتهم قد غطت أبدانهم فيما عدا الأطـراف مـادة براقة تشبه طلاء معدنيًا...

ازدادت أصابع الدكتور خميس تحكمًا في مفتاح الضبط الدقيق بالمجهر. وازداد بصره تعمقًا وتركيزًا على ثنايا الكـائن الثالـث، الأقرب إلى مسقط الرؤية المباشر، واندمج بكل حواسه يـتفحص الكائن. وطال تحديقه. وجمود وجهه وتصلب قسماته... مسـتحيل ألا تلحظ العين، حتى العادية، هذا التماثل في الشـبه بـين كـائن المجهر الجرثومي والكائن البشري... في نسب البـدن وتفرعاتـه وفي أغلب خطوط تكوينه الخارجي!!

واحتوى خميس الوجه الأبيض المسطح المتطلـع فـي اتجاهـه فرغمًا عن تسطحه هناك فتحتا العينين بلا حاجبين أعلاهما واتساع للفم بلا شفتين حوله، وأعلى الفم يتضح ثقبا الأنف كما يلاحظ ثقبـا الأذنين المتسعان على جانبي الرأس أسوة بما لدى البشر، أما الرأس فبان أصلع بأكمله، وخيل إليه كذلك أن رءوس الكائنات أكبر قلـيلا من رءوس البشر مقارنة بأجسادهم، وأن بشرة الكائن رمادية أو هي

تميل إلى الازرقاق رغم بياضها... فلمّا تفحص ذراعيه وساقيه المزرقتين وجدهما أرفع مما يجب إلا أنهم بدوا لبصره في صلابة أسياخ حديد البناء، ونقل بصره إلى الكائنين المتواجهين فكانا مطابقين لسابقهما، ثم استقر على الكائن الرابع المستلقي بلا حراك ليوقن على الفور باختلاف لون بشرته عن بشرة الثلاثة الواقفين، فهي تميل إلى الحمرة وليس الزرقة أو الرمادي...

وراح الدكتور خميس يحدث نفسه "إذا كانت الكائنات الجرثومية تماثل البشر على الأقل ظاهريًا ولكل منها فيما بينها فروقها الطفيفة مماثلا لعين الفروق التي تميز بشريًا عن آخر، وتكاد العين الخبيرة تجزم أن لها ذات دورات الحياة الداخلية كما لدى إنسان الأرض لا سيما ما يلاحظ من ارتفاع وانخفاض لصدرها علامة على تنفس الهواء الجوي، فهل هي تتغذى وتهضم وتفرز فضلات أيضًا"؟ بغتة أحس خميس ألمًا في عنقه وزغللة في عينيه فاضطر إلى رفع رأسه وإرخاء عضلاته، لقد استغرقته المشاهدة قرابة ساعات أربع، نسي نفسه خلالها كلية مع هذه الكائنات المذهلة، التي بترت راحته واستحوذت على عقله وتفكيره...

وأخذ يحدث نفسه وسط حصار الأسئلة التي تضغط على صدره وتكتم أنفاسه "ما تزال حية هه... لم تمت ولا وهنت... اثنان وثلاثون يومًا مرت منذ مجيئها وهي على حالها تتنفس وتتحرك... ترى فعلى ماذا تغذت طيلة الساعات التي انقضت... وبأية كيفية؟" غير أنه سرعان ما نبذ الخاطر السابق ليفسح جنبات رأسه لخاطر آخر أكثر إلحاحًا "لا داعي لاستفسارات من هذا القبيل، متى تبادلت وإياهم التفاهم... الكلمات... فسأعرف كل ما أريد...".

عندئذ يحدث الصدام بين الأفكار المتدفقة والأسئلة التي لا تجد

حلولا بعمق الرأس المشتعل، فيهتز بدن الدكتور خميس ويطلق صيحته المدوية: يا الله... فكيف أستطيع التخاطب معهم... كيف... كيف؟

وجاءته إجابة حانية من ورائه: دائمًا هناك درب أو ممر ضيق يقود إلى الطريق الصحيح... ودلائل ومؤشرات تفسر كل غموض... من ثم فبالدأب والصبر ومضاعفة الجهد سنحقق ما نريد...

- آه... أتيت يا دكتور عماد... عال أنت اليوم معافيً... تعال...

وطالت ذراع الدكتور خميس تجذب زميله وتجلسه إلى جواره في غلظة ليست جديدة عليه...

- أحسنت بمجيئك مبكرًا فأمامك مهمة صعبة، آمل أن تحاول إصلاح المجهر الإلكتروني...

- المهندس المختص يأتي إلى الموقع بعد غد...

- لكننا نحتاج كل دقيقة، فنحن كما تعلم نسابق الزمن من أجل رؤية هذه الكائنات بتفصيلات أكثر قربًا حتى نتعرف عليها ونحدد موقفنا منها... أرجوك حاول...

أذعن الدكتور عماد فقال في صوت خفيض: بل لنحدد موقف أهل الأرض جميعهم... أعطني مفتاح قاعة المجهر الإلكتروني...

أسرع الدكتور خميس بوضع المفتاح في يد عماد بينما يخبره بأنه وجد مقاييس واحد من الكائنات حين وقوفه ١٨ ميكرونًا طولا و٦,٥ ميكرونات عرضًا لصدره.

فابتسم الدكتور عماد: عظيم... مقاييس متناسقة تعني لو تمدد وطال واحد منهم لقارب المخلوق البشري في تكامل وانضباط بدنه... فهل المخلوقات الجرثومية هي كذلك؟

لكن الدكتور خميس قاطع صاحبه: بالطبع عاقلة... وسأثبت لك

ادعائي... أنا لا أمتلك برهانًا الآن إلا أنني أعيه... أحسه في دمي... وإن الفارق الوحيد بيننا وبينهم... هو اختلاف الحجم...

وانتقل الحماس إلى صدر الدكتور عماد فقال وهو يغادر المكان: والآن دعني أذهب لأصلح لك مجهرك الإلكتروني العتيد، حتى ترى هذه الكائنات بوضوح أوقع، فلو تحقق كلامك لاهتز العالم من أدناه إلى أقصاه.

- بل لتبدلت الكثير من الحقائق والمفاهيم والنظريات... ربما من جذورها...

☆☆☆☆

قرابة غروب الشمس كان قد تم إصلاح عطل المجهر الإلكتروني... وبعد الغروب بساعة جلس العالمان قبالة طاولة أزرار ومحولات تشغيل المجهر الإلكتروني العملاق بينما تطل عليهما في المواجهة شاشته الفضية المقعرة إلى الخارج، ومع إضاءة هذه الشاشة استحوذت المرئيات على بصر العالمين وسرعان ما جذبتهما بدافق أحاسيسهما وطاقاتهما وإدراكهما العقلي إلى عمق الداخل مباشرة، وقد توقفت أنفاسهما أو كادت...

فعبر مجالات التضخيم والتركيز ومن خلال الأبعاد المجسمة بدت الكائنات الآن تقارب النماذج البشرية من كل الوجوه. إلا في لون بشرات ثلاث منها تلك الرمادية المزرقة، بينما يبقى تماثل الكائن الرابع المستلقي حتى في لون بشرته الوردي من الإنسان. كما اتضح أن الذي يكسو قوام الكائنات الأربعة نوع فيما يبدو من الأردية بالغة الشفافية والرقة، وأنهم ينتعلون أحذية، كما بدا وكأن الكائنات كانت تضع أقنعة واقية خلعتها حين اطمأنت لاستنشاق جونا الأرضي، فقد عثرت أعين العالمين اللهفى على هذه الأقنعة ظاهرة

بين الركام وهي مواد شبه شفافة كذلك... والأهم أن تكبير الشريحة إلكترونيًا قد أظهر أبعادًا جديدة في محتواها، فمن بين الأربعة اتضح أن كائنًا منهم يبرز في صدره ما يشبه ثديين مكورين... فهل هي أنثى، هل هم زيادة على الملاحظات السابقة يماثلوننا في التقسيم عضويًا كذلك... ذكورًا وإناثًا؟

ودقق الدكتور عماد بصره في ركن الشاشة المعتم قليلا: هذه المكعبات القاتمة أهي صناديق ملقاة أو مخفاة فيما وراء الأحجار البرتقالية؟

والتقط الدكتور خميس الخيط من زميله فهمهم...

- المعنى خطير... وقد يكون هو الأرجح والأصوب، فلعل هذه الكائنات قد أتت إلينا عن قصد ولم تجلبها آلات مركبتنا "للباحث ٢٠٩"...

اعترض الدكتور عماد: ألا تعطيها الكثير! بينما لم نقطع بعد بمدى إدراكها وقوة ذكائها؟

هَمَّ خميس أن يواصل الكلام حينما لفت انتباهه شيء، فأمسك قياد المجهر الإلكتروني يقرب جزئية في ركن شاشته، لكنه توقف، نزع عويناته ومسح زجاجها متعجلا ثم عاد ودفعها على أنفه، وانكب بكل ثقل رأسه وتحكمه في عنقه يحدق في الجزئية المنشودة، كان كشفًا جديدًا مهمًا... انتزع من بين أصابع الكائن الواقف بعيدًا إلى يمين زملائه، تلك الآلة الداكنة المقوسة فيما يشبه النفير أو قرن الحيوان، لا بد وأنها نوع من وسائل الاتصال عن بعد يتخاطب عبره ورفقاء له غير الواقفين معه، فهل رفقاؤه أولئك على ثرى كوكب قصي يبعد عنا بالسنين الضوئية أم يستقرون في جهة أقل نأيًا؟ أم تراهم يدورون بسفينتهم الكونية اللحظة حول كوكبنا الأرض... وضحك في سره وهو ينساق مع تخميناته...

لا... بل لا بد من تواجد الرفقاء في مكان جد قريب. كأن يكونـوا في حجرة المعمل بالقاعدة (الأم) مثلا!!!

أفلتت الصيحة المختنقة من بين أسنان الدكتور خمـيس التـي خربها تدخين السيجار بشراهة...

- ياه... ياه... كيف غاب عني ذلك... لا بد أن أسارع بالحفـاظ على بقية العينة الكونية المجلوبة أخيرًا، في مكان أمين لا تطاله أيد غريبة.

أجفل الدكتور عماد من تصرف صاحبه المباغت: ماذا تقصد؟

لكن الدكتور يترك الكلمات تتعثر وراءه بينما ينطلق من القاعدة كالقذيفة: ألف في المائة أن العينة الكونية تحوي آخـرين، ربمـا مئات من أفراد هذه الكائنات الجرثومية أتت إلينا لغرض نجهله...

لاحقه الدكتور عماد بلي عنقه: انتظر... إلى أين؟

ويتناثر الرد بينما صاحبه يتوارى "سأضع بقية العينة في خزانة المعمل المكيفة، وأوصي "أبو فارس" المساعد. بعدم إطلاع غيرنا على مكانها".

☆☆☆☆

في المساء، في ساعة أكثر إيغالا في التأخير، لاحظ العالمـان ازدياد العلة على الكائن الرابع المريض وخيل إليهمـا أن الثلاثـة الباقين المزرقين قد كثفوا من نشاطهم حول رابعهم، حيـث ازداد التفافهم حوله، وعادوا إلى نقاشهم قبالته ولدرجة التلويح بـالأذرع هذه المرة، بل وركع أحدهم الأخف ازرقاقا إلى جـواره وأجـرى نوعًا من الاختبار - على ما يبدو - للجزء العلوي مـن تكـوين رفيقه وبخاصة رأسه... فهل الكائن الرابع يوشك علـى المـوت؟ وهذه لو صحت معلومة مميزة تضاف إلى التصاق الشـبه بيـنهم

وبين البشر.

إلا أن الكائن المريض تحرك، كان لا يزال حيًا...

واتفق العالمان على ضرورة عزل هذا الرابع علـــى شـــريحة زجاج ثانية بمفرده، وأخذ الدكتور خميس الشريحة وعليها الكـــائن المعزول إلى شقته بعمارة الأعزاب بالقاعدة، لتبقى تحت ملاحظته المباشرة فقد يمكنه علاجه وإنقاذه – بدلا من تركه تحـــت رحمـــة رفاقه الثلاثة، فربما فكروا في التخلص منه...

☆☆☆☆

أبو فارس الحلواني كان في الأصل ممرضًا، لكنه عمل لـــدى تجنيده في الإبرار الجوي بالقوات المسلحة فلما أصيب بتلك الشحنة الليزرية أسفل فخذه سُرح من قوات الإبرار الجوي وعاد إلى مهنته الأولى في الجيش هذه المرة، وجاء تعيينه الأخير منذ عامين جنديًا ممرضًا بالوحدة الصحية في قاعدة الجلـــف الرئيســـية والتقطـــه الدكتور خميس وجعله مساعدًا له في تحضـــير ومراقبـــة شـــئون المعمل، وكان أبو فارس على ضخامة وترهل بدنه وبطء حركتـــه مثالا للإنسان الأمين الملتزم، ولتلاصق حجرته بحجرة المعمل كان دائم الإصاخة لتحركات العالمين ونداءاتهما عليـــه، فمتـــى أنهيـــا عملهما وغادرا المكان بادر من فوره بقفـــل الـــدواليب والأدراج وترتيب وتنظيف المعمل ثم إطفاء الأنوار وإغلاق الباب الضخم، وبعدئذ يمكنه الذهاب بدوره إلى حجرته.

وفي تلك الليلة ظل أبو فارس مسهدًا قلقًا على غير عادته، فقد كثرت التحركات واللقاءات واحتدت المناقشات من حولـــه، وهـــو ليس فضوليًا لكن أذنيه التقطتا جملا عـــابرة اشـــتم منهـــا جديـــة الاستنفار والتحفز تجاه شيء محدد؟!! والآن ها هو ذا يفاجأ بأمر

قاطع من الدكتور خميس بألا يسمح لمخلوق بولوج المعمل إلا هو والدكتور عماد فقط... ترى لأي غرض يأمره بذلك؟ فهل حقًا كائنات من نوع غريب مخرب قد غزت الأرض أو توشك على غزوها؟ فهل هم قوم "نيام نيام" الذين سمع عنهم في صغره؟

وحينما أعلنت ساعة المعمل توقيت الثانية بعد منتصف الليل، وصفق الدكتور خميس الباب خلفه بعنف كعادته مؤكدًا انصرافه وزميله ليهب أبو فارس يقوم بدورته الروتينية خلال حجرات المعمل وملحقاته... فلما انتهى من الداخل وبرز يستعد لإغلاق باب المعمل الخارجي، سمع عندئذ نغمة حادة تتعالى بعيدًا... وكان الصفير...

في البداية تسلل خافتًا... متقطعًا... ثم التحم واعرَضَّ... ثم بغتة بكيفية ما التصق الصوت الحاد عميقًا بطبلتي أذنيه... وتحول من صفير إلى صراخ موجع... يحتل رأسه... كل رأسه... وانتفض الرجل، كاد ينخلع من على الأرض وقلبه يدق بإلحاح وعنف... لكن أبو فارس تماسك وعاد للداخل من جديد، أضاء كهرباء المعمل فتلألأت الجدران في براءة... جال بعينيه حوله فمن أين يأتي الصفير المبهم؟؟ وهل مصدره حشرة سعت من الصحراء أم ماس كهربائي... أم ماذا؟

وخيل للرجل عبر حيرته وألم رأسه وأذنيه أن الصفير ينفرش حوله ويعرض، وبدا أيضًا أنه آسر ومسيطر... يتغلغل إلى كل خلية في صدره... بل ويضغط على الصدر فيقيده... ويقيد حركته وتفكيره، يدفعه دفعًا إلى خطى يخطوها برغمه... إلى حيث الخزانة المكيفة وشريحة الزجاج ترقد على رف بأعلاها، وازداد الدفع والتصادم، وسيطرة تحكم الصفير وطغيانه، ففتح أبو فارس باب الخزانة، أمسك الشريحة سحبها بهدوء وطاعة عمياء بأصابع

يمناه، ليروح الصفير يقوده إلى دفع الشـريحة ليجـرح بطرفهـا المدبب منتصف ذراعه الأيسر جرحًا متسعًا تدفقت منه دماء قانية أخذت تغطي الشريحة الزجاجية وتختلط بعناصرها ومحتواهـا... وتداعى جسد أبو فارس حتى جلس على الأرض والشـريحة مـا تزال ملتصقة بالجرح فوق ذراعه ثم غاب عن وعيـه تمامًـا... وعندئذ توقف الصفير...

☆☆☆☆

في الصباح الباكر اطمأن الدكتور خميس على ضـيفه الكـائن المريض. وجده ما يزال يتنفس، فأخرج شريحته من أسفل المجهر الصغير وأعادها إلى مكانها برف دولابه، وأسرع يغادر شقته إلى المعمل وهو يتدفق رغبة في مزيد من الكشف عن أسـرار بقيـة مجموعة الكائنات الجرثومية.

لكنه فوجئ برؤية باب المعمل مفتوحًا، فلما اندفع إلى الخزانـة وجدها خاوية... كانت "العينة الكونية" التي أودعها الخزانة بيديـه البارحة... قد اختفت...

استشاط قهرًا وغضبًا. علا الزبد شفتيه بينما ينعت أبو فـارس بالغفلة وعدم الطاعة على إهماله، فلما ركل باب حجرة مسـاعده وجدها خاوية أيضًا وكأن أحدًا لم يبت فيها، وعبثًا حاول الـدكتور خميس ومعه فيما بعد زميله الدكتور عماد العثور على أبو فارس بطول القاعدة وعرضها دون جدوى.

☆☆☆☆

[٣]

"الرجل يعمل معنا منذ عامين. لم يغب خلالها عن عيني لحظة وتصرفاته فوق الشبهات... سيادة اللواء أبو فارس خطف"... قالها الدكتور خميس مدوية من منطلق قناعته وانزعاجه...

فهتف رئيس القاعدة وأصابعه الضخمة تعبث في قبضة قاذف الأشعة المدلى من جانب حزامه...

- يخطف!! هنا... في قلب الصحراء... والجند يملئون المكان ويحيطونه بمنتهى اليقظة... مستحيل...

- لقد عثر الدكتور عماد على طاقيته الصوفية، كانت ملقاة تحت فرن التبخير الزئبقي، وأنا لم أره بدون الطاقية منذ عرفته.

وأضاف الدكتور عماد: كما شاهدنا الرذاذ من نوع الأتربة التي جلبت ضمن العينة الكونية، يتناثر بعضه بأنحاء أرضية المعمل، أما العينة ذاتها وقبلها الشريحة وعليها الكائنات الثلاثة... فقد تبخروا... قطب اللواء عبد الرحمن جبينه وقال مفترضًا: ولِمَ لا نقول أن رجلكم يرقد مريضًا بمكان ما بالمنطقة السكنية، أوَ أنه على أسوأ الفروض قد هرب؟

بلغ ضيق الدكتور خميس مداه وهو النافد الصبر دائمًا: يا سادة... إنني أصر على رأيي فالعينة الكونية ومعها شريحة الكائنات سرقت، وأبو فارس خطف... والفاعل في الجريمتين واحد...

تقلصت قسمات اللواء عبد الرحمن بعد أن عرف القلق والانزعاج طريقه إليه أخيرًا...

- معنى الذي تذكره يا دكتور. أن القاعدة الأم بها خائن، أو عميل أجنبي... وأنا أجد في الاثنين كارثة أرفضها من أساسها...

شاع الارتباك على وجه الدكتور عماد: والحل؟

جمدت قسمات القائد وشمخ بأنفه في صلابة لتخرج كلماته قوية وكأنها رصاصات محكمة التوجيه:

- إنها المعركة... والقائد في المعركة يستبيح الضربات الموجعة في الصميم من أجل بلده، وسيكون أول تصرف لي هو تفتيش كل شبر في القاعدة... بدءًا من المطار...

على أن جهود القائد ومساعديه وجنده أخفقت لدى تفتيش مكامن القاعدة ودورها وممراتها وأنحائها، فبعد ساعات من البحث الحثيث لم يعثر على أثر لأبو فارس ولا على ذرة من العينة الكونية ولا شريحة الكائنات، وشكل الإخفاق أمرًا بالغ الخطورة في نظر القائد، كما جرح كبرياءه في الصميم وانطبع الأثر في مجموعة النواهي والتعليمات الفورية التي فرض بها اللواء عبدالرحمن محمد مزيدًا من القيود على تحركات كل فرد بالقاعدة... عسكريين ومدنيين على السواء... (ممنوع مغادرة الدور عقب غروب الشمس). (ممنوع التجول ليلا إلا بتصريح شخصي من القائد)، (مفاتيح مخازن السلاح والذخيرة والوقود وأقسام المطار والمعامل والمستشفى عُهَد الرؤساء دون الرتب الأدنى)، (مفاتيح قاعة الطوارئ ومخبئها، والحاسبات وأولها المركزي والمجاهر وأهمها الإلكتروني وكذا برج اللاسلكي والاتصالات الكونية، جميعها عهدة القائد العام وحده)، وأخيرًا (محظور على السيدات والأطفال من المدنيين مغادرة المنطقة السكنية وما في نطاقها من ناد وحدائق وملاعب بامتداد الكيلو مترات الأربعة المربعة المعروفة، ليلا أو

نهارًا لأي سبب كان بدون إذن مسبق)...

أما أكثر ما شغل وقت اللواء قائد القاعدة الأم فكان انهماكه في كتابة تقرير مفصل تناول فيه القصة المثيرة للكائنات الجرثومية من أول اكتشافها وإلى حادثة اختفائها وبعدها العينة الكونية بأكملها... وترجيحه لوجود أصابع خفية تلعب من وراء الستار بغرض تخريب قاعدتهم بكيفية مجهولة... وقد ختم تقريره بطلب مشورة القاهرة وكذا مده بالمعونة الفنية... إلا أنه أرجأ بث التقرير إلى الصباح.

☆☆☆☆

في أعقاب الهبوط الناجح لرواد الفضاء المصريين أواخر عام ٢١٨٣ على سطح المريخ في منطقة "السكون الأبدي" استقر الرأي على تشييد قاعدة ضخمة لبحوث الفضاء، وللأهمية المرجوة لهذه القاعدة في تطوير وتنمية علوم الفضاء وأبحاثه المختلفة والتي تتصارع الدول من أجلها، وما يتحتم أن تكون عليه من سرية، ونأي عن مجالات القوى الكهربائية ومحطات الجهد المؤثرة، وكذا التجمعات الأهلية، فقد وقع الاختيار على أكثر مناطق الجمهورية انعزالا بأقصى الطرف الجنوبي الغربي للبلاد، وحيث ينتهي بحر الرمال الأعظم ويشمخ جبل "الجلف الكبير"، فعلى مبعدة ١٥ كيلو مترًا جنوبي الجبل شيدت القاعدة الضخمة الرئيسية وفي أعقاب مرور عامين تاليين شيدت القاعدة الفرعية شمالي الأولى بـ ٤٠ كيلو مترًا...

وخلال الأعوام الخمسة الأولى ظل التواجد بالقاعدتين مقصورًا على العسكريين، ثم سُمِح بعد ذلك باصطحاب عائلاتهم من المدنيين، وكان الدكتور خميس بدر الدين عالم الفيزياء الموهوب من قدامى العاملين بالقاعدة، تلاه في القدوم إلى القاعدة الدكتور

عماد علام عالم الفلك ليزامله العمل في تلقي وفحص ودراسة الرحلات الفضائية المختصة بها القاعدة، وليكون أول من يحضر أفراد عائلته للإقامة في ذاك الموقع النائي الفريد في تكوينه، والذي يستحيل الوصول إليه بغير الطيران بالنفاثات.

ورغمًا عن طباع الدكتور خميس الحادة فقد تقبل الدكتور عماد بسماحة خلقه صحبته وصداقته، ولتزداد الرابطة بين العالمين بمرور الوقت ليصير خميس رفيقًا لأسرة زميله كذلك، ويحرص على تمضية إجازته الأسبوعية في يوم الجمعة بمنزل الدكتور عماد ووسط دفء الزوجة والأبناء...

إلا أنه حين قصد بيت الدكتور عماد في إجازة اليوم لم يكن حاله على ما يرام، فقد غادر حمالته الصاروخية أمام البيت رقم ١٤ وهو يترنح، فلما أزاح رتاج بوابة الحديقة وصعد السلم وجد قدميه ثقيلتين، لقد كان في حقيقة الأمر يرزح تحت وطأه حيرة نفسية تفصل بين عقله وبقية جسده...

فتح الدكتور عماد باب بيته وحيى ضيفه بصوت هامس حيث استقبل في الداخل بما لم يألفه قبلُ. كان الوجوم والكدر يخيم على المكان، الصبي وأختاه متوارون بحجرة داخلية وأصواتهم بالكاد تسمع وحين أغلق الدكتور عماد الباب وعاد ينزوي على أريكة بركن الصالة الأمامية فقد كان يقول بصوت خافت "أما زوجتي فلم تدخل مطبخها إلا قبيل مجيئك بلحظات، فمنذ الصباح أو قل منذ علمت بمجموعة المحاذير المفاجئة التي عمت القاعدة... وهلع خفي يتملكها، وينطبع على تصرفات الأولاد" هكذا شكا الدكتور عماد حاله لصاحبه الدكتور خميس بينما يترك هذا علبة الفواكه المطهوة التي اشتراها من الكانتين على مائدة الطعام، ثم ينتقي واحدًا من

مقاعد المائدة دفعه إلى جوار مضيفه وجلس عليه... وتعالى صوت الزوجة من المطبخ: أهو الدكتور خميس... أجاء؟

ثم برز قوامها المترهل ترتدي روبًا بنفسجيًا ذا ورود كبيرة في حين سبقها صوتها مخنوقًا رغم جماله:

- ما الذي جرى؟ ولم كل هذه القيود؟ ألا يكفي انطباق الصحراء على أنفاسنا؟

وتمتم زوجها: "عفت" لا تصدق أن السبب يرجع لسرقة جهاز إلكتروني مهم من المخزن...

أيقن الدكتور خميس أن صاحبه يعلن كذبة بيضاء. فلا بأس من مجاراته لتهدئة خاطر السيدة التي يجد فيها أختًا وطاهية ممتازة، فرسم على شفتيه ابتسامة ودودًا وهو يقول مؤكدًا: لا تهتمي كثيرًا يا سيدتي... ساعات قلائل ويعثر على الجهاز والسارق... وعندئذ يعود الحال إلى سابق طبيعته...

إلا أن السيدة تفصح عن مخاوف أعمق: لا أظن... فكريمان زوجة المهندس نشأت مراد تذكر أن هناك تهديدًا بتدمير القاعدة يأتي من خارجها...

وترتسم الدهشة صادقة على وجه الدكتور عماد قبل وجه الدكتور خميس...

- لا يوجد تهديد من أي نوع يا سيدتي. والقاعدة آمنة لا تتعرض لشيء من هذا القبيل...

ويجد الدكتور عماد الفرصة لزيادة طمأنة زوجته فيضيف: أجل... قل لهذه السيدة يا دكتور ما يريحها ويريحنا، قل لها كيف ينعم بلدنا والحمد لله بسلام ومحبة مع جميع جيرانه...

- فعلا، إن ما يقوله زوجك هو الحق... ثم إن القاعدة التي نحن بها أقرب ما تكون إلى حدودنا مع ليبيا غربًا والسودان جنوبًا... والدولتان من الدول المؤسسة معنا للولايات المتحدة العربية... فأراضيها تعد امتدادًا أمنيًا طبيعيًا لأراضي مصر...

تقتنع الزوجة أو تقنع نفسها بما يؤكدان فتعود إلى مطبخها. ومع تواريها يلقي الدكتور عماد سؤالا في صميم ما يحاولان التستر عليه من أحداث ما تزال ساخنة ومبهمة...

- قل لي يا خميس... أترى أن هناك علاقة بين نزولنا وغيرنا على ثرى كوكب المريخ، وظهور أو مقدم هذه الأشياء... أقصد الكائنات الجرثومية؟

- أعتقد بوجود علاقة ما... لكن ليس كما تتصور...

ويلاحقه تساؤل عماد: "كيف؟"

يجيب الدكتور خميس: إن محاولاتنا وغيرنا لارتياد المريخ استهدفت أغراضًا شتى... أهمها أو قل العاجل منها أمران... أولهما التأكد من وجود مخلوقات ذكية، أو إثبات خلو الكوكب منها نهائيًا... ويكمل الدكتور عماد: والثاني فحص قمري المريخ وبالذات فوبوس، لإعلان صحة فرضية أنه مُصنَّع أو رفضها...

- عظيم... وقد تحققنا من خلو سطح المريخ من أية مخلوقات من أي نوع أو صفة، لكن إلى هذه اللحظة لم يتيسر لنا تبين حقيقة القمرين... لا فوبوس ولا ديموس...

وقف الدكتور عماد ليأتي بعلبة السيجار، غمغم وهو يستجمع أفكاره: من هنا كان إرسالنا المتكرر لمركبات الفضاء، مثل الباحث، والجوال، والمتعدد، وقبض السماء... وغيرها... لنتفحص حولها ونصور أجواء القمرين ونأخذ عينات من جوهما...

ويشعل الدكتور خميس سيجارًا كوبيًا ويأخذ منه نفسًا عميقًا: لا يا صاحبي، إن غالبية البرامج الأخيرة لدينا ولدى غيرنا من الدول إنما تركز محاولاتها على القمر فوبوس وحده...

ويتذكر الدكتور عماد: صدقت... عينة الباحث ٢٠٩... الأخيرة... كانت من جو فوبوس بالفعل... إذن لم يبقَ إلا أن نحدد بدقة مسار المركبة المذكورة ذهابًا وعودة من وإلى قاعدتنا...

يترك الدكتور خميس سيجاره بالمنضدة ويميل بصدره على المنضدة محاولا أن يرسم بطرف أصبعه مسارًا وهميًا لمركبة الفضاء الباحث ٢٠٩ في رحلتها الأخيرة... "لقد انطلقت المركبة من قاعدة الجلف الإضافية، واتجهت رأسًا إلى جو المريخ. والتقطت أذرع المركبة الميكانيكية لمدة مائة ثانية بعضًا من هذا الجو، ثم استدارت في اتجاه القمر فوبوس، وابتداء من ارتفاع ثلاثمائة كيلو مترًا من سطح القمر تم التقاط أجزاء من جوه كل أربعة دقائق ولمدة مائة ثانية في المرة واستمر الالتقاط لعدد ٦٦ عينة حتى تركت المركبة منطقة القمر وبعدها المريخ، وعادت في النهاية سالمة إلى قاعدتنا"...

- معنى ذلك منطقيًا، أن المصدر محصور فقط بين جوي المريخ وقمره فوبوس...

إلا أن الدكتور خميس لوح بذراعه غاضبًا: لا لا... الكائنات لم تأت إلا من سطح فوبوس ذاته فأغلب النظريات والتقارير تؤكد أن هذا القمر صناعي... وأنا أجده كلامًا جادًا مقبول الحجة...

- حسن... لم يبق إلا ترتيب الحقائق الفلكية حول هذا القمر المحير... فوبوس...

لوى الدكتور خميس شفتيه وابتسم متحديًا: آه... فلتبدأ أنت بما

لديك من معلومات...

ترك الدكتور عماد جلسته، خطا إلى نافذة قريبة وراح يطل بامتداد الرمال المنفرشة على مرمى بصره...

– فوبوس هو القمر الداخلي لكوكب المريخ، مداره دائري نصف قطره ٩,٤٧٦ كيلو مترًا ويبعد عن سطح الكوكب بقدر ٦٠٠٠ كيلو مترًا. ويلف حوله مرة كل ٧ ساعات و٣٩ دقيقة، ويدور فوبوس والقمر الآخر ديموس في مستوى خط استواء المريخ... وعندما وقف رواد الفضاء المصريون على سطح المريخ شاهدوا القمر فوبوس كنجم لامع، ورأوه على عكس كافة ما عرف من توابع السماء يبزغ غرب الكوكب ويغرب في شرقه... وبذا كان تحركه السريع عكس دوران السماء المزدحمة بالنجوم...

توقف الدكتور عماد عن الكلام حتى يغير وقفته فيعطي النافذة ظهره ويوجه كلماته إلى محدثه مباشرة:

– وتبقى المعلومة الشائعة أن قطر فوبوس ثلث قطر قمر الأرض ولمعانه أقل منه ٢٥ مرة... لكن لم يقل أحد بالأدلة الدامغة أنه قمر صناعي!! وإلا فمن يقدر على تشييد هذا الصرح العملاق وإطلاقه في السماء؟

ويهتف الدكتور خميس: عظيم... مدهش... والآن جاء دوري لإقناعك...

– تفضل...

طوح الدكتور خميس ببصره في اتجاه الأعلى، هل يخترق السقف بحثًا عن جرم تائه في عمق السماء؟ لكنه قال وهو يضغط على كل حرف ينطقه: منذ أرسل الأمريكان قمرهم الصناعي

بيونير ٧ في أعوام السبعينيات نحو كوكب المريخ وقمريه. ثم تبعتهم دول أخرى في الأعوام التالية ونحن نعلم أن سطح القمر فوبوس ذو طبيعة صخرية، حتى أرسل العراق منذ ربع قرن محطته الفضائية "القادسية" لتتجه نحو القمر فوبوس مباشرة، وقد صورت عدسات القادسية ١٤٠٠ صورة، واحدة منها استرعت أنظار العالم، وأثارتني أنا للذروة...

هز الدكتور عماد رأسه: أعرفها... صورة قطاع فوبوس الجنوبي وبها ذلك التجويف الغائر... النيزكي... مد الدكتور خميس يده للأمام مستنكرًا: هنا مربط الفرس، إنه ثقب نافذ في كتلة القمر وإلى عمقه الداخلي، وليس تجويفًا نيزكيًا... وحتى تقتنع فقد أحضرت لك نسخة للصورة المثيرة لتعيد فحصها!!

وأخرج الدكتور الصورة الملونة من جيبه وأخرج مكبرًا من جيب آخر، وأعطى الاثنين لصاحبه الذي أخذ يتفحص فتحة الثقب وانزلاق جوانبه ومدى هبوط غوره بعدسة المكبر حتى تمتم: قد يكون كما تقول.

- لكنك لم تدقق البصر في شكل فتحة الثقب...

- أرى حافتها بارزة، تكوّن دائرة كاملة منضبطة، وهي مسودة أو تميل للون الرمادي، وكأنها من معدن ما!

- هو ذلك... وكما نجد الحال في فتحات قاذف للصواريخ التي تطلق من الأعماق الجبلية...

تساءل الدكتور عماد: تجزم إذن أنه قمر مصنع، كما أنه أجوف، أي أنه يشبه علبة الصفيح الجوفاء؟

ويضع الدكتور خميس رأسه المجلل بالشيب بين كفيه... ذلك الوعاء الذي يحتوى مخًا طالما استلب الراحة من بقية جسده.

ويروح يردد في كلمات ممطوطة... حيرى...

- من يدرى كيف هو الداخل وما المحتوى؟ ربما تعرفنا عليه في القريب فوجدناه عالمًا قائمًا بذاته، بل من لنا بصـــانع فوبــوس ذاته... ومن أطلقه... ولأي غرض مذهل يفوق تصورنا وفائق إدراكنا أوجده بمستقره هذا؟

وأقبلت السيدة "عفت" ومعها أبناؤها وقد حملوا بعض صـــواني وأطباق الشطائر والسندوتشات المعدة على عجــل، قالـــت وهـــي تجلس فيتبعها الكل:

- تفضل شطيرة بالبيض... وقد أعددت غيرها بالجبن والـــبعض بلحم الدجاج أو بعيش الغــراب، أمـــا الفاكهـــة فلـــدينا اليـــوم البرتقال... آه... لقد سمعتكما تتكلمان عن المريخ... لقد قرأت عنه الكثير في كتب عماد... أليس هو الكوكب الأحمر، رابـــع كواكب المجموعة الشمسية بعدًا عن الشمس، أسموه نسبة إلـــى إله الحرب "مارس" والمريخ جار الأرض وشبيهها في أشـــياء، يومه مثل يومنا... ٢٤ ساعة و٣٧ دقيقة، وميل محوره مثـــل ميل محورنا، وتغيرات فصوله تماثل تغيرات فصولنا... لكـــن جوه أخف من جو أرضنا. وهو كوكب خال مـــن المحيطـــات والبحار والبحيرات كما يخلو من الجبال والتلال. أما أميز مـــا شوهد على سطحه فهي قنواته التي أثارت جدل علماء الأرض، والتي ثبت بعدئذ أنها مجرد كثبان ملحية متراصة وممتدة...

☆☆☆☆

ووقع الزلزال في الفجر... وعلى غير عادة الزلازل فلم ترتج له مبان وتغر من وقعه تربة، ولا كانت له جراح بشرية ســاخنة، وإنما كان زلزالا من نوع مختلف... خبيث... أصاب أفئدة الرجال

في الصميم، ونفث اليأس مرّا في حلوقهم وأولهم الذي يحمل مسئولية القاعدة على كتفيه...

كان اللواء عبد الرحمن محمد قد توجه بحمالته الصاروخية مع أولى خيوط ضوء اليوم التالي إلى برج الاتصال اللاسلكي والذي لا تترك جيبه مفاتيح بابه المصفح، وقد اصطحب القائد معه ضابط الاتصال الشاب العقيد رشدي زكي، كما صحبه جنديان انضم لهما ثالث في الطريق إلى البرج...

لدى وصول الرجال الخمسة إلى المبنى المستدير الجوانب الشاهق الارتفاع لاحظ العقيد رشدي وهو يوقف الحمالة الصاروخية التي يقودها أن المنطقة حولهم قد خلت من جند الحراسة رغمًا عن تفقده لهم في الليلة السابقة...

في الحال وزع اللواء القائد الجند الثلاثة حول البرج واصطحب الضابط الشاب قفزًا إلى باب البرج فلما وجد أقفاله محطمة وضلفته مفتوحة أسرع باقتحام المكان ووراءه مساعده إلا أنهما لقيا الكارثة في انتظارهما... فالقاعدة الرئيسية مقلوبة رأسًا على عقب، وكافة أجهزتها بين مدمَّر ومخرَّب في حين انتزعت معظم الأسلاك وقطعت بأيد خبيرة ولا شك، وحين أجرى القائد تحقيقًا فوريًا أسفر كالعادة مؤخرًا عن لا شيء...

وتوجه اللواء القائد في صحبة رجاله وهو يقود الحمالة الصاروخية بنفسه هذه المرة مطلقًا أقصى سرعة لديها إلى عنبر مطار النفاثات... وقد انتوى كحل ثان لا ثالث له بأن يبادر بإرسال أحسن طياريه ومعه التقرير السري الذي أعده على عجل في مهمة بالغة الأهمية للقاهرة...

وخلال أقل من ساعة فوجئ القائد وجنده بالضربة الثانية والقاضية في انتظاره كذلك... لقد وجدوا النفاثات الست بالقاعدة

تجثم أشباحًا مخربة بعد أن انتزعت أهم أجزائها واختفى طياروها من حجراتهم دون أن يتركوا أثرًا...

لحظتها أحس العقيد رشدي زكي ضابط الاتصال شللا في ذراعيه وساقيه وانهيارًا في كافة أضلعه... بدون مقدمات ركع على ركبتيه... وانغرست ساقاه وتجمدتا في الرمال... وراح يبكي بحرقة...

نهره اللواء عبد الرحمن في صرامة: انهض يا رجل... ودع الانفعال للنساء...

تمتم الشاب من بين دموع حقيقية: لقد عُزِلنا يا سيدي القائد... أغلق علينا في أقصى أطراف المعمورة... في قلب بحور الرمال وعواصفها... وتيه الوديان ونفاد الزاد...

– اصمت... إننا لم نعزل ولن نعزل أبدًا... أبدًا...

كف الضابط الشاب عن البكاء، ولم يكف عن الخوف...

– لقد ضعنا... ومحال أن يسمعنا أو ينجدنا أحد...

لكن اللواء عبد الرحمن محمد رفع الضابط الشاب وألقى به في الحمالة، ثم راح يجذب الجند المذهولين... الواحد تلو الآخر أيضًا إلى الحمالة...

ثم انتصب شامخًا وهو يحدق فيما حوله بجبروت وفمه يتمتم: "بل لا بد من وجود حل... وفعال"... إلى أن قفز بدوره داخل الحمالة وقادها عائدًا...

☆☆☆☆

[٤]

في الجانب الشرقي من القاعدة، الجانب البعيد، لدى غابة أشجار الكازورينا ومسقط مياه العين الفوارة، وحيث يمتد جدول المياه ضيقًا مبطنًا بالأسمنت ومغطى بالزجاج المحكم منعًا للبخر. بطول صف البيوت المعدنية ذوات الأسطح المائلة والجدران المتوهجة حانيًا.

بدت صفحة السماء فيما وراء التلة الجرانيتية مغطاة بندف من سحابات بيضاء متجاورات، وقد حولها الضياء المتصاعد إلى نقش قطني ينفرش أرجوانيًا في الوسط قانيًا ودمويًا لدى الأطراف. وازداد الضياء، وقويت الألوان، في حين ظل تواري أستار الظلام بطيئًا، متثاقلا، كعادتها في تلك الساعة المبكرة من كل صباح...

وإذا كانت أنحاء "قاعدة الجلف الرئيسية" وقد ربضت على الجانب الغربي من التلة تتم حراستها بأحدث وسائل التقنيات العسكرية، من مسارات الليزر الخفية إلى أدوات رؤية واستماع وإنذار مبكر تحكمها جميعًا دوائر إلكترونية كاملة، فإن منطقة بيوت السكن والتي أقيمت لاحقًا كانت عزلاء من الوقاء التقني. وقد استعيض عن ذلك بفرض نطاق من الحراسة البشرية، في صورة دوريات ثنائية الجند من حاملي قاذفات الأشعة الحارقة...

ووسط الصراع الخفي بين الضياء والظلمة انفرج غصن لنبات واطئ في غابة الكازورينا، تلاه انفراج عدد آخر من الأغصان، وبرز أبو فارس محني القامة متصلب الرأس والعنق، وفي غفلة من أعين الجند وفي خطى متلصصة عجلى انتقل الرجل من خلف الشجرة الوارفة إلى قلب حديقة البيت رقم ٣... وجرى الأمر بعد ذلك

في خفة وعجلة لا تتفقان مع ترهل جسد أبو فارس وما عرف عنه من خمول وبطء في الحركة... ففي وثبات رشيقة وصل إلى الشرفة... فتح باب البيت... نفذ وأغلق الباب خلفه في لحظة... تسلل إلى حجرة الطبيبة نور سلامة بلا أدنى صوت. وسرعان ما قرب قنينة المخدر من أنفها لتنتقل من نوم طبيعي إلى نوم جبري عميق...

بعدئذ وفي هدوء أخرج أبو فارس الزجاجة الداكنة من جيبه بينما كان يقبض على قطعة المعدن التي سبق وأخذها من دولاب المستشفى، والتي تماثل قطعة العملة في استدارتها ولونها النقي وذات بروز في وسطها يقارب حبة الحمص... وضغط الرجل البروز فكشف عن تجويف بقطعة المعدن، سرعان ما أمال الزجاجة عليه ليملأه بمحتواها السائل ثقيل القوام، وفي هدوء أكثر. وكأنه آلي مبرمج، ألصق أبو فارس قطعة المعدن بعنق الطبيبة المخدرة أسفل أذنها اليسرى الظاهرة فوق الوسادة... كان ينفذ تعليمات خفية تأتيه غليظة آمرة من الأقاصي... "والآن. بعد أن أنهيت مهمتك، خذ المحقن المستدير معك، وأخفه بعيدًا، واترك المرأة وحدها في رقدتها، ليسرى ما قمت بدفعه في شريانها".

وغادر أبو فارس ضحيته تاركًا إياها حتى تفيق من نومتها الإجبارية على مهل فتجد بجوارها الزجاجة الداكنة بمحتواها الغامض، أما ما يتحتم أن تفعله الطبيبة حينذاك فليس هذا من شأنه، إنما عليه الآن أن يأخذ فرصته الكاملة في الهرب قبل أن ينتبه إليه أحد بالمنطقة...

☆☆☆☆

في الطرف الغربي من مربع البيوت السكنية، حيث يستقر مجمع الأعزاب، وبإحدى حجرات طابقه الأرضي استيقظ الدكتور خميس دفعة واحدة وبدنه ينتفض ولعابه يسيل على ذقنه، كان

يخوض حلمًا مزعجًا "رأى نفسه فيه وقد ضمرت أطرافه وتضاءلت قامته حتى تحول في طول وحجم الكائن الجرثومي المريض. وأنه قد انحنى يعالجه حتى شفاه، فلما برئ الكائن واستقام واقفًا ووقف معه، اقترب من أذنه ليخبره كيف جاء إلى كوكب الأرض من قلب المجرة البعيدة، وتهيأ لينطق اسم الكوكب القصي وإذا بفوهة قاذف للهب تبرز ضخمة، مهولة، في المواجهة... وتطلق على الكائن وعليه شحنة مميتة، تدفقت على أثرها نيران جهنمية أحاطت بهما من كل صوب...".

ووسط إحساسه بالأتون المستعر انتزع الدكتور خميس نفسه من نومه انتزاعًا...

وبادر في الحال يفتح دولابه ويمد أصابعه يسحب العلبة المكيفة لحفظ شرائح الفحص الميكروسكوبي من رف علوي، ويفتحها في لهفة فيجد شريحة الزجاج في مكانها، فلما أسكنها ومررها أسفل عيني مجهره الشخصي الصغير اطمأن فقد شاهد مريضه الكائن الجرثومي ما يزال موجودًا كما تركه... بل رآه بدلا من الرقاد يجلس الآن فيما يشبه القرفصاء...

ثبت العالم أصابعه على مفاتيح المجهر، تدلى ببصره إلى الأعماق، وحيث يستقر الكائن استقرت عينا الدكتور تلازمه، هذا الهباء القادم من عالمه البعيد ولا يدرى عنه شيئًا... اللهم إلا حجمه الجرثومي، وشبهه بالبشر، وإحساسه بأن وراء مقدمه هدفًا...

ولمح الكائن يرفع عينيه بوجهه المسطح يتطلع إلى أعلى... تجاه مصدر الإضاءة القوية المنتشرة أعلاه... لا بد وأنه على يقين بالنظرات اللهفى التي تتفحص من وراء الأضواء كل ثنية من أنحائه، ولعله يتوق إلى كشف كنه مراقبيه كذلك، أم تراه على بينة منهم أصلا؟

"لا يا خميس هذا كثير... لا تنسق وراء خيالك إلــى بعيــد"... وأفاق الدكتور خميس من شروده على تصرف للكائن بدا له أنــه وهم جديد يضاف إلى الرصيد المتزايد منه منذ كشف سر العينــة الكونية الأخيرة... لقد رفع الكائن ذراعه اليمنى عاليًا، ثم تلاه برفع اليسرى إلى جوار اليمنى، وفي اتجاه بصر الدكتور أخــذ الكــائن يلوح بكلتا ذراعيه ببطء وبرأسه وعينيه... إنه يقصده... إنه يلوح له... وإلى جوار قاعدة المجهر اهتزت كف العالم المستغرق فــي الرؤية المجهرية... ولوحت بدورها في تلقائية... تتابعت إشارات وإيماءات الكائن، بدت عصبية ومبهمة وتحوى كمّــا مــن نفــاد الصبر! فهل قصد بها نوعًا من الحوار كما يفعل الصــم والــبكم، على أن حركة كررها الكائن بذراعيه وكفيه رسمت في الهواء ما يشبه الصندوق، أو مجموعة صناديق، كذلك داوم على ثني سبابته وإلصاقها ببدنه، فهل كان يسأل أين ذهب رفقاؤه مــن الكائنــات المماثلة... وأين أدواتهم؟

كاد الدكتور خميس يطير فرحًا لما توصــل إليــه، وفــي ذات اللحظة صدمه جدار طوّح به إلى هوة الإحباط، فقد عجز بــالطبع أن يرد على الكائن الضئيل... المتناهي في ضــآلته ونمنمتــه... واضطر أن يرفع رأسه ويشيح به بعيدًا عن المجهر وهو يحــس قهرًا لم يعانِ مثل مرارته قبل...

ورفع الشريحة الزجاجية وغيبها في علبتها، وخــلال دقــائق انطلقت الحوامة الصاروخية به وبعلبته رأسًا إلى حيــث يــربض المجهر الإلكتروني، وبجواره زميله وصديقه الدكتور عماد...

- لم يتبق في حوزتنا من دليل مادي غير هذا الكائن الوحيد...

قالها الدكتور خميس وهو يضع علبته المكيفــة الثمينــة علــى المنضدة تحت أنف صاحبه، وأضاف: لذلك فلا مفر يا عماد مــن

تناوب الحفاظ عليه من أي خطر يتهدده...

ترك الدكتور عماد مفكًا صغيرًا كان يمسكه: وماذا انتويت؟

– من الليلة سنبيت معًا في شقتي لنتناوب السهر على الكائن...

– لا يمكنني ترك الأسرة في الظروف الحالية...

– لكن...

قاطعه برفق: الأصوب يا خميس أن تأتي أنت وذلك الشيء إلى بيتي... سأترك لك حجرة ابني الأكبر فبمقدور الأولاد أن يبيتوا سويًا حتى تتجلى الأمور، إن مجيئك أنت يا دكتور لا ذهابي أنا سيحقق أكثر من هدف... وليكن التنفيذ من الليلة.

– كما ترى...

☆☆☆☆

يتكون مستشفى القاعدة الرئيسية (الأم) من ثلاثة عنابر طويلة تقسمها حواجز الأشعة المعتمة، وهي نوع من الجدران الوهمية الحاجبة استخدمت مؤخرًا كفواصل وسواتر بدلا من الجدران أو الستائر، وهكذا قسمت حواجز الأشعة المعتمة أول العنابر من مدخل المستشفى إلى أربعة أقسام: الانتظار، الكشف، التحاليل، ثم فحوصات الأشعة إلى جانب دورة المياه، ويقع المستشفى خلف مبنى الإدارة بالقاعدة، فمدخل الإدارة من شمال ومدخل المستشفى من جنوب...

ولدى ظهيرة ذلك اليوم انهمكت الطبيبة الشابة ابنة السادسة والثلاثين نور سلامة في لصق كبسولات دفع الدواء في عنقي اثنين من مرضاها ممن تميزوا بتخصصاتهم الرفيعة في هندسة الإلكترونات ثم تلت في أعقاب ساعة أخرى بلصق مزيد من الكبسولات في أعناق ثلاثة جدد من خبراء الملاحة الكونية. وقد

لاحظ هؤلاء المرضى المتميزون أن تغييرًا قد طرأ على الطبيبة التي عهدوا دائم بشاشاتها ومرحها فهي اليوم عابسة على غير العادة ومقتضبة في كلماتها معهم، وفي إصرارها على العلاج بنوعية الأدوية التي يتحتم أخذها بالكبسولات اللاصقة، بل واعترض فعلا اثنان على العلاج الفوري بهذه الكبسولات إلا أنه ما كادت تمد أناملها الموسيقية بقطعة المعدن المتلألئة بلونها الفضي، وتلصقها في دلال على جوانب أعناقهم حتى فقدوا القدرة على الاعتراض والرفض، وأذعنوا وهم أسرى قسماتها الحانية وابتساماتها الواعدة الشهية...

☆☆☆☆

مع حلول العتمة تساءلت زوجةٌ عن سبب تأخر زوجها الأخصائي في العودة إلى بيته دون أن تجد جوابًا، وفزعت أخرى لغياب رجلها رغم علمه بمرضها ووجودها طريحة الفراش دون أحد إلى جوارها... وزوجة ثالثة ورابعة وخامسة... وأبناء وجيران وزملاء لحقهم الانزعاج بدورهم حين غاب ثلاثة رجال آخرون دون سابق إنذار...

وخلال ساعتي زمن كتب تقرير محير باختفاء خمسة رجال أعقبه بعد ساعتين أخريين تقرير ثان باختفاء اثنين جديدين، ووضع التقريران على مكتب اللواء عبد الرحمن محمد رئيس القاعدة ليزيدا في توتره ويشعراه بثقل العبء الملقى على كاهله... ثم زاد في محاصرته والضغط عنيفًا على أعصابه ما لاحظه من أن أسماء المختفين السبعة كانت لرجال ذوي مستوى رفيع من المقدرة العلمية بالقاعدة، بل إن ثلاثة منهم يكونون الفريق الذي سبق وكلفه بسرعة إصلاح برج الاتصال اللاسلكي وإعادة تشغيله...

ولجأ اللواء عبد الرحمن إلى ما كان يفعله في الأزمات، فأغلق

باب مكتبه عليه وعكف على قراءة ومراجعة عديد من الأوراق والملفات... وأشعل علبة لفائف وأشعل كافة خلايا مخه...

وأخيرًا زم شفتيه وأفلت عدة كلمات مقتضبة عبر جهازه اللاسلكي ينادي مساعده حاتم الشيخ ليلقاه على الفور... وذلك ليتخذ الخطوة الوحيدة الحاسمة التي لم يتبق غيرها في جعبته...

ففي خلال أربعين دقيقة أعدت الحوامتان العسكريتان بكامل معداتهما القتالية، واعتلاهما ستة عشر من خيرة ضباط القاعدة الشباب انتقاهم ليكونوا تحت إمرة رجل الصاعقة مساعده المحنك عقيد شوقي متري... وحين زودت الحوامتان بالوقود والمؤن والذخيرة انطلقتا أخيرًا تجاه الشمال، بغرض تنفيذ تعليمات محددة بمنتهى الدقة والصرامة... "التوجه رأسًا إلى القاعدة الفرعية على بعد الأربعين كيلو مترًا شمالا، ومتى دخلوا القاعدة فعليهم الاتصال فورًا من محطتها اللاسلكية بالمسئولين في القاهرة لطلب النجدة، ولا شيء بعدئذ غير العودة ثانية إلى قاعدتهم الرئيسية"...

وبينما تواصل الحوامتان اندفاعهما إلى عمق الصحراء وسط ريح منذرة بهبوب عاصفة رملية، بقي أناس القاعدة عسكريين ومدنيين قابعين في أماكنهم تجيش بصدورهم آمال أكثر بهتانا ووجلا وامتقاعًا من وجوههم، أما القائد فقد انتصب عبر نافذة مكتبه وكأنه كتلة حديد صماء يحركها عقل إلكتروني تتهيأ إشارته للانقضاض وسحق العدو، فقط ينتظر مترقبًا أمر الإيجاب بالحسم من الحدقتين المتسعتين اللتين راحتا تجولان الأفق رغم إظلامه بحثًا عن الأعداء مهما صغرت هاماتهم وتلاشت... إلا أن هؤلاء جميعًا لم يكونوا على دراية حقيقية بماهية أعدائهم إن صح أن نسميهم بهذا الاسم ولا بمدى قدراتهم ووقدة ذكائهم...

وإذ ظلت كل الدور متقدة الكهرباء في تلك الليلة وإلى صباح

اليوم التالي، يلفها الصمت والإعياء والترقب الهَلِع كبارًا وصغارًا، فقد امتد الأمر إلى كلاب الحراسة لدى بعض الأسر والحراسات فقد أبت بدورها الانطلاق والنباح وإنما تجمعت وتلاصقت منكمشة تائهة الرؤية...

حجرة واحدة عبر المنطقة السكنية ظلت مطفأة الأنوار معتمة، إنها صالة المنزل رقم ١٤، والتي قبع في ركن منها رجلان استكان كل منهما في مواجهة الآخر، كانا صامتين عابسين... الدكتور عماد مد ساقيه وأغمض عينيه نصف إغماضة. والدكتور خميس يمسك سيجاره يشد أنفاسًا لا طعم لها. وقد اندلعت وثارت دوامة أفكارهما معًا كل في نطاق. ولكن قويت الأفكار الشاذة وتمددت حتى تشابكت في إعصار واحد مخيف، راح يعصف بكل منطق وعرف وحكمة وقيمة يختزنانها...

ولم يجرؤ أي من الرجلين على مصارحة رفيقه بما يتفجر في رأسه... وهل لدى أي منهما أو غيرهما بطول القاعدة وعرضها إجابة شافية حول سلسلة الاختفاءات والتخريبات التي أوسعوها بحثًا وتمحيصًا؟

اختفاء أبو فارس، واختفاء الشريحة الزجاجية ومعها العينة الكونية، واختفاء الخبراء من متخصصي القاعدة الواحد وراء الآخر حتى بلغ عددهم سبعة، ثم اختفاء معدات ثمينة وحيوية... وإلى أن جثم واقع جديد فرض وجوده المر بينهم... التخريب والتدمير والعزلة عن العاصمة وعن أنحاء الجمهورية بل والعالم أجمع ... ترى فيم ذلك من أوله لآخره؟!

وطالت وطأة الليل وجثومه على القاعدة والكل في ترقب وانتظار وضياع لا تبدو له نهاية...

☆☆☆☆

القسم الثاني

"وباء من نوع جديد"

[٥]

في نعومة ويسر وبلا صوت غير ذلك الفحيح المكتوم، راح الطبق ينزلق حثيثًا فيما يصل ثلاثة أضعاف ونصف سرعة الصوت، عبر سماء زرقاء تتألق بالضياء، تتفرش أسفلها صفحة خضراء ناصعة تمتد إلى أطراف الأفق المترامية...

كان محيط قطر الطبق ١٢ مترا، وله جناحان أسطوانيان يدوران في اتجاهين عكسيين، تتوسطهما كابينة القيادة السداسية بمساحة ٦ أمتار مربعة تحوى ١٣ مقعدًا، ثلاثة في المقدمة تواجه آلات التحكم يليها عشرة قد تَجَاور كل اثنين منها في صفوف تتراجع حتى باب الدخول في الخلف... وقد جلس قبالة آلات التحكم شابان وفتاة، انهمك ثلاثتهم في قيادة المركبة النفاثة في اندفاعها بجناحيها نحو الجنوب، وجلس وراءهم آخران انشغلا في حوار مشترك، على حين انفرد في أحد مقعدي الصف التالي رجل أكبر سنًا طواه تفكير عميق... وبينما ظلت بقية مقاعد الطبق شاغرة فقد تراصت في الممر الجانبي صناديق وأكياس وضعت فوقها بعض أردية النفث الفردي مما يستخدمه الأفراد للتحرك في الفضاء عند الضرورة...

ومال الطبق... فضوت ألوان سطوحه العاجية المخضرة بعض الشيء وعليها شارة سلاح الطيران المصري... وغير الطبق

اتجاهه إلى الجنوب الغربي يميل درجة كاملة، تاركًا زراعات المليوني فدان المقتطعة حديثًا من الصحراء جنوبي منخفض الفيوم وإلى حيث يمتد فراغ متسع بعرض الأفق، ومع ميل الطبق أخذ الخضار يتآكل بسرعة أمام غزو اللون الأصفر بتدرجاته المتباينة الاشتعال تحت ضوء الشمس وحرارتها اللافحة... إنها الصحراء الغربية الكبرى...

ورغم اشتراك الكل وانهماكهم في القيادة ودقائق الملاحة واستمتاعهم بمراقبة المشاهد المتلاحقة، فقد بقي للرجل الجالس في الخلف العقيد طيار رائد الفضاء الأول في مصر، جوهر يسري، شاردًا حبيسًا مع أفكاره المتصارعة... لقد أيقظوه قبيل الفجر، وحملته مروحية صغيرة إلى مقر القيادة العليا في بطن جبل المقطم بينما معظم سكان العاصمة سادرين في سباتهم، وهناك وسط مجموعة الخرائط المضيئة والعشرات من آلات التيكر والبث التلفزيوني والليزري عن طريق الأقمار واستنباطات العقول الإلكترونية العاملة دون توقف، وعبر مناقشات وتعليقات وصيحات المئات من الخبراء والفنيين والمتخصصين وقادة القوات المسلحة في شتى تفرعاتها... انتحى رجل عريض الصدر عريض الوجه قمحي البشرة بالعقيد جوهر جانبًا، قاده عبر ردهة إلى حجرة جانبية وتوقف لدى جهاز للتسجيل بركن فيها ملأ سطح منضدة واطئة...

ودون أن يجلس مد الرجل - ونظراته الصارمة تستقر على وجه جوهر - إصبعه وأدار الجهاز بينما يقول مقتضبًا...

- لنستمع إلى هذا الشريط أولا...

تعالى صوت مكتوم "القاعدة الرئيسية لأبحاث - (صفير

وضوضاء.) –– بالجلف الكبير ال – تتعرض – (ضوضاء شديدة) – منـذ ٣٠-٣٠-٣٠ سـاعة – الأحـداث مرعبـة – غامضـة (ضوضاء) – فقد ––– بعد اكتشاف – كائنات جرثومية – عدد – عددها – (ضوضاء) – وهي – ويظن – أنها – وأنها – عاقلـة – فقد لاحظنا – وقد – قـ(ضوضاء وجو عاصف) حتى – هذه – لا ضحايا إلا – أنه – أنه – اختفى – واختفى – (ضوضاء) – ونحن في احتياج – شلل – وحصار ––– (توقف) –".

– هل سمعت يا جوهر... هناك شيء مبهم يحدث في قاعدة الجلف!!

– يبدو أن الأمور سيئة يا أفندم...

– ويقولون باكتشافهم لكائنات دقيقة... عاقلة...

وتهرب الدماء من وجه جوهر: لم نسمع بقول كهذا أبدًا...

فيضع الرجل كفه الثقيلة على كتف جوهر ويقول له وهو يدفعه لمغادرة المكان: ربما هي البداية لما هو أشد خطورة وتعقيدًا، وإن كانت الأقمار الصناعية تفيد العكس، فهي تعطينا صـورًا عاديـة للقاعدة الأم!

وكانا قد عادا الآن إلى الردهة والرجل ما يزال يـتكلم: لكنـي غير مستريح، لا سيما وقد صمتت القاعدتان الرئيسية والفرعيـة، كل منهما ما يزال على صمته منذ تلقي البرقيـة العجيبـة التـي استمعنا إليها توًا... بل نحن لا ندري من أيهما جـاءت بفحواهـا المنذر بأخطاء قادمة...

تساءل جوهر: ألا توجد مناورات عسكرية أو ما شابه في هذا الاتجاه؟

- وهل يفوتنا الأمر...

- والبرقية... ليست مدسوسة؟

- احتمال ذلك ضعيف جدًا فقد بثت على موجة سرية لنا، كما أنها أرسلت بالشفرة...

- وأجهزة الشفرة...

قاطعة بهدوء وثقة: سليمة تمامًا...

وبينما تتغلق الأبواب جميعًا في وجه العقيد جوهر يسري ويزداد غرقه في حيرته، إذا بأحد الضباط يتقدم من الرجل عريض الصدر ويحييه في انتباه كامل ليعطيه ورقة صغيرة... تناولها الرجل، احتواها ببصره سريعًا، استوعب مضمونها على الفور...

- إليك أنباء جديدة، هذه صور جوية موجهة من قمرنا الصناعي ٤٠٤ خذها، تفحصها... واقرأ تقرير المعمل أسفلها... لتتبين حجم الأشياء...

ثبت العقيد جوهر عينيه على الصورة وقرأ الكلمات المدونة... وتبدلت حيرته بدهشة غامضة...

- تدمير... وحريق... في القاعدة الفرعية... آه... فهي كارثة حقًا...

هز الرجل رأسه في قناعة وحزم: أرأيت... الموقف ليس هينًا بالمرة ولا يحتمل أي تأخير... وعليه فقد كان القرار إرسالك ونفر من أخلص مساعديك إلى القاعدة كدفعة أولى عاجلة، حتى نتعرف على حقيقة ما يدور هناك بالضبط...

واستوعب العقيد جوهر يسرى التعليمات وتسلم فريقه وتفحص كافة المعدات، وما أن استقلوا جميعًا الطبق الطائر حتى ارتفع بهم

جسمه الانسيابي قاذفًا بهم بعيدًا عن أجواء المطار العسكري بجبل المقطم... وها هو فعلا وليس حلمًا في طريقه إلى هضبة الجلف الرئيسية... ويعود العقيد جوهر إلى واقعه على ضوء لمبة كمثرية حمراء راحت تضوي في تلاحق "بيب بيب... القاعدة أ. ف١٨ج... دخلت مجال الرؤية الرادارية... بيب بيب... وبقي من الزمن ١٦ دقيقة. بيب بيب... كما بقيت مسافة ٧٠٠ كيلو مترًا هي طول بحر الرمال الأعظم... على الوصول إلى هدفنا... قاعدة الجلف... والتي تعمها الآن عاصفة رملية... تبلغ سرعة الرياح فيها ١١٢ كم ساعة... انتهي، بيب بيب...".

ويعود وجه العقيد جوهر يسري إلى جموده بينما تتشبث أصابعه بمسندي مقعده ويتجه بأفكاره هذه المرة إلى الأمام، يسابق بها مسار الطبق إلى حيث تستقر القاعدتان اللتان يقصد أولا الأقرب منهما، الفرعية... "ترى، أهي كائنات في حجم الجراثيم كما يعلنون... وذكية بالفعل... أتراها جاءت من الفضاء حقًا أم أنها نتجت عن عبث عالم أرضي مجنون... بل ولم لا تكون الكائنات قد تكونت وتشكلت، واستمدت وقدة ذكائها ذاتيًا من تزايد الإشعاعات والتلوث الحادث نتيجة لتلاحق التفجيرات الذرية وانتشار المفاعلات بأنحاء دنيانا؟"... وتفلت آهة كظيمة من أعماق صدره "لكن مهلا... فكيف لنا أن نسلم أساسًا بصحة ما أذاعته إحدى القاعدتين دون مصدر آخر... أيعقل... كائنات ذكية في حجم الجراثيم؟ كيف هذا؟! ولو آمنا بوجودها فما مبلغ خطورتها علينا نحن البشر... نحن العمالقة الخرافيين... نسبة لأحجامنا... ولما نمتلك من قوى ومن معدات ومن جحافل مخلوقة مثلنا تغطي

كوكبًا بأسره"...

إلا أن خاطرًا يعبر مخ جوهر يدفعه إلى الانكماش والإذعان "إن ربع قطرة ماء تمتلئ بالجراثيم قد تودي بحياة إنسان! وما قام الصراع وتشعب منذ الأزل بين مخلوقات البشر وبين الأمراض إلا دفاعًا ضد نوعيات الكائنات الضئيلة بالغة السطوة... فما بالنا لو أصبحت أيضًا... عاقلة؟؟؟".

وعاد الضوء الأحمر يضوي من جديد "بيب بيب... قاعدة الجلف الفرعية على مرمى البصر في قلب العاصفة... بيب بيب... ورغم محاولاتنا فلا توجد أي استجابة لنداءاتنا... بيب بيب"...

عندئذ اعتدلت ملاحة الفضاء وألقت برأسها قليلا إلى الوراء فبرز نهداها يشمخان إلى الأمام بينما بقيت يدها تقبض على ذراع التشغيل، قالت وهي ترسل كلماتها إلى الوراء: دورة أخرى ونهبط يا ريس.

- لا بأس... وليكن على ارتفاع منخفض...

اهتز الطبق المحلق لثوان ثم هبط في انزلاق حاد إلى أسفل، كاشفًا عن خبايا البقعة الداكنة وسط جو مكفهر بالغ القتامة تتعذر الرؤية من خلاله، فبالكاد اتضح صف المنشآت، مموه مختلط، لا تكاد ترى أدنى حركة في محيطه، وقد لحق مبنيين أو أكثر دمار كلي في حين عم الحريق والفوضى بقية الدور عن يمين وعن يسار وعددها لا يزيد عن ثمانية... كان الموقع في حدود الرؤية مغبرًا ضبابيًا تكتسحه هبات الرمال في تلاحق وإصرار، ورغم عواء الرياح بدا وكأن صمتًا مريبًا يحط عليه وحين ازداد دنو الطبق. ظهرت أيضًا أشباح مركبات محترقة تتناثر فيما بين

هياكلها وحولها جثث لعدد من القتلى...

واستقر الطبق أخيرًا لدى مهبط القاعدة الشمالي، وسكنت حركة الجناحين الأسطوانيين بجوار تلة رملية، وغـادره العقيـد جـوهر ومساعدوه، لتستقبلهم رياح ثقيلة ساخنة، كادت من عنفها أن تقتلعهم من الأرض، بل ونجحت بالفعل في دحرجة الفتاة مجيدة...

إلا أنهم تحاملوا ليكتشفوا من خلال صفعات الطبيعة مدى الدمار الذي لحق الأنحاء حولهم، كما تبينوا خلو القاعدة من الأحياء، وإن اتضح أن عدد الجثث المتناثرة قليل لكنها بدت متفحمة مشوهة ومن بينها أيضًا كلبا حراسة نافقان...

قرر العقيد جوهر وصحبه الانتظـار خـارج منطقـة الـدور المخربة حتى الصباح التالي أملا في هدوء الـريح خـلال الليـل وعندئذ يقومون بأداء مهمتهم في البحث والتنقيب وصـولا إلـى أسباب حدوث الفاجعة.

وتكاتف الرجال وسط ثورة الطبيعة حتى أقاموا خيمة الطوارئ ذات النسيج المعدني المرن والمكيفة وتضاء ذاتيًا. ومن ثم أدلوهـا إلى منتصفها في الخندق الذي حفروه على عجل... وهيئوا أسِـرَّة بعددهم داخلها...

أما قائدهم البالغ منتصف عقده الرابع صـاحب القـوام الفـارع الرياضي، وقد حمل عينين نفاذتين وشاربًا أنيقًـا واحتلـت كتفيـه علامات ذهبية بخمس غزوات لكواكب قصية وحصل مـن أجلهـا على اللقب القومي (أول رواد الفضاء المصريين)... أما القائد جوهر يسري فقد أخذ يقلب في رأسه خاطرًا متشائمًا اقتحمه علـى غيـر انتظار... "فهل حل كذلك بالقاعدة الرئيسية والتي تسـتقر جنـوبي

موطئ قدميه بأربعين كيلو مترًا، ذات المصير من دمار وفناء؟"...

☆☆☆☆

مع شروق أول ضوء جرى تفتيش القاعدة، كل باب فتح أو كسر وكل خزانة وكل درج أخرجت محتوياته، كما نبش كل ركن وكل ثنية خفية بحثًا ولو عن ورقة قد تفيد في التوصل لمعلومة يسيرة، إلا أن حصيلة البحث لم تزد عن معرفة أن التدمير قصد بالدرجة الأولى وسائل الاتصال من لاسلكي إلى مركبات إلى أجهزة التحليق في الجو، كما اختفت جميع أنواع الوقود بالمخازن من جافة وسائلة إلى التي على هيئة مجروش أو أقراص أو كبسولات... كما دمرت قواعد إطلاق المركبات الكونية ومكوكات الفضاء العشرة بكاملها...

وإذ بلغ مجموع جثث القتلى تسعة بين محترق وممزق نتيجة التفجير، فقد عثر على جسد جندي عاشر اختبأ في شرفة إحدى الدور حتى وجدوه مغمى عليه وإن ظل يتنفس، وعن طريق هذا الأخير وبينما يدخل في طور الاحتضار عرف العقيد جوهر بقصة الرجال الذين أرسلوا من القاعدة الرئيسية إلى هنا طلبًا للنجدة بعد أن تحطم جهاز إرسالهم في سلسلة أحداث مؤسفة وعجزوا عن مخاطبة العاصمة...

"إذن فمكان بث البرقية المبتورة، هو القاعدة الفرعية وليس الرئيسية... ولو أن رجال الثانية هم الذين أرسلوها"... وجاهد الجندي المحتضر أن يعطي مزيدًا عما جرى من أحداث... فقط راح يردد كلمة "اختفاء" حتى أسلم الروح، وقد استطاع أن يصرح في الثواني الأخيرة بأن إصابته البالغة نتجت عن تفجير محطة

الإرسال بالقاعدة الفرعية قبيل مجــيء الطبــق وملاحيــه بنحــو الساعتين... أخيرًا في نهاية يوم حافل تم تفتيش القاعدة الفرعيـــة، وأُسكِنت الجثث الثرى في مقبرة جماعية، كما عثر كــذلك علـــى الحوامتين اللتين أتتا برجال القاعدة الرئيسية وأخطرت القيادة العليا بالقاهرة بحال الأوضاع تمامًا... عندئذ أحس العقيد جوهر ورجاله بأن مشاق اليوم الصعب قد انجابت مع هدوء الريح كذلك وارتحال قرص الشمس نحو المغيب... ليبدأ القائد في التشاور مع رجالــه ووضعهم في حالة الاستعداد والتأهب القصوى رغم قلتهم، وعندئذ فلا بأس من إعطاء جسده المنهك ساعتي زمن من النوم العميــق، استعدادًا لمجيء دوره في الحراسة...

☆☆☆☆

- في ذلك الوقت وعلى بعد أربعين كيلو مترًا إلــى الجنــوب. قبعت القاعدة الرئيسية (الأم) تقاسي ســاعات طويلــة مــن الملــل والانتظار والترقب، فرغمًا عن أحداث الأيام السابقة، ورغمًا مــن اكفهرار السماء وهبوب الرياح محملة بالرمال والأتربة، بدأ اليــوم التالي على العاصفة صبوحًا عاديًا، فأحس الجميع بعضًا من الهدوء والراحة النفسية بطول الاستحكامات العسكرية ومباني الإدارة وإلى الامتداد السكني... وإن لم يفارق أحدًا التوجس للحظة... فهم إنما لا يدرون من أي جهة تأتيهم الأخطار وتحدق بهم...

أما الدكتور خميس فمنذ البداية لم تعقه العاصفة عــن التفكيــر وإطلاق مخه لأقصى طاقته، ولم تمنعه من التوجه إلــى معملــه مبكرًا كالعادة، إلا أنه وقد ولج دنيــاه الخاصـــة وســط أجهزتــه وقواريره ومحاليله الكيميائية لم يفعل شيئا، إنما أمضى وقته ساهمًا

يشغله التفكير فيما قام بأدائه من حركات وتصرفات ذلك الكـائن القابع في أغوار حجمه وعالمه البالغ الضآلة... ومرت ساعات... ليفيق فيجد نفسه ما يزال وحده لم يلحق به الدكتور عمـاد. تـرى فهل ثقلت على عماد الأحداث فعاوده مرضه أم أنه آثر أن يبقـى إلى جوار أفراد أسرته لحمايتهم من أية أخطار قادمة؟

وأدرك الدكتور خميس حين أوقف حوامته الصـاروخية قبالـة بيت صاحبه أنه لم يغادره كما خمن، فقد لمح حوامته البنية تستكين أسفل تكعيبة للعنب وتحت غطاء سميك من الأتربة...

وما أن فتحت ربة البيت الباب حتى بادرها الـدكتور خمـيس مندفعًا ملحًا: لم يحضر فقلقت عليه...

أجابت: هو بخير، بل لقد هم بالخروج صباحًا، إلا أنـه عـاد مؤثرًا أن يبقى بجوارنا أنا والأولاد.

- فأين هو؟

- بالقبو... مشغول منذ عاد... تعال اتبعني...

قالتها بعد أن أغلق الباب واستدارت بينمـا ردفاهـا يهتـزان، وصوتها يتهدج مذعورًا...

- لم تقل لي يا دكتور، ما الأخبار؟ هل قبضتم على أبو فـارس؟ أظنكم لم تفعلوا بعد... والذي دمر برج الإرسـال غالبًـا لـم تعرفوه للآن... وكذا المختفون كلهم في علم الغيب... رحمتك يا الله... وتوقفت لدى سلم القبو، وتوقف الدكتور خميس وقـال لها جادًا قبل أن يهبط:

- صدقيني يا سيدتي، لا جديد... غير أن الأمور ستسـتتب فـي

القريب العاجل بإذن الله...

وفي الحجرة الرطبة وجد الدكتور عماد منكبًا على رسم كروكي خطه على ورقة عريضة، بينما ينهمك في تدوين مجموعة من المعادلات الحسابية وتعديلها والإضافة بيمناه، في حين تتحرك أصابع يسراه بسرعة على أزرار آلة حاسبة للجيب...

ألقى الدكتور خميس نظرة مركزة على الرسم: أتجري تغييرًا على المجهر الإلكتروني... أتضيف شيئًا إليه؟

لكن الدكتور عماد زم شفتيه وهمس متوسلا: أرجوك... دقيقتين حتى أفرغ مما بيدي...

على الفور تحول فضول الدكتور خميس إلى اهتمام بالغ، لكنه أغلق فمه على مضض تاركًا لعينيه الجحوظ والتفحص بلا كلل، حتى أتم صاحبه حساباته، وبان عليه الارتياح، ولأول مرة منذ أيام عاد إلى وجنتي عماد لونهما الدموي...

- أعطني انتباهك يا دكتور خميس، إنني أتذكر حيرتك بالأمس حين قلت لي أن ذلك... الكائن... قد قام بأداء عدد من الحركات والإشارات أمامك... وكأنه يسترعي بصرك... أو... أو يحاول مخاطبتك!!

- بالضبط، هذا ما حدث...

- لقد حاولت التأكد من كيفية أدائه ذلك اليوم... فأخذته بصندوقه بعد أن رأيتك تخرج دون أن تأخذه معك... ومن ثم جربت عرض الكائن على شاشة المجهر الإلكتروني ثانية في غيابك... في البداية وجدت صورة رائعة... ويبدو أن الشيء أقصد الكائن

تنبه لوجودي، أو ربما أحس بكيفية ما أنني أراقبــه... وهكــذ وبالضبط كما وصفت أنت من قبل، فانطلق يقوم بأداء حركاتــه وإشارلته... ولتبدأ صورته في الإعتمام على شاشة الجهــاز... تساءل الدكتور خميس في حيرة تقتله: لماذا... لماذا؟

- آه... سؤالك وجهته إلى نفسي... "ما الذي أعتم الصورة؟" غير أن مراقبتي لعدادات المجهر لفترة أعطتني الإجابة الشافية...

- وما هي... بربك؟

- صبرك... أنت تعرف أن الإلكترونات تتوقف وتتشتت بسرعة لتصادمها مع الجزئيات... أي جزئيات مهما صــغرت حتــى جزئيات الهواء...

قاطعة الدكتور خميس في عصبية: ومن أجل ذلك يتحــتم تفريــغ صمام المجهر تمامًا بمضخة التفريغ التي لا يخلو منهــا أي مجهــر إلكتروني... هذه معلومات أولية يعرفها طالب الجامعة تلقائيًا...

- عال، اتفقنا... ويعني ذلك أن المجهــر الإلكترونــي يســتحيل استخدامه إلا في مشاهدة الأشــياء التــي لا تفــرز أو تخلــق نبذبات... وبالتالي كل ما ينفخ أو يصدر أصواتًا فإنه يحــدث نبذبات... وهذه الذبذبات تؤدي في الحال إلى إعتــام الصــور عبر شاشة الجهاز وبالتالي يتعذر رؤيتها بوضوح...

لمعت عينا الدكتور خميس وتمتم في انبهار: إذن فهي ذبــذبات يصدرها الكائن... لقد كان يكلمنا، أرأيت؟ رائع... لديــه لغــة... أليس هو كائنًا يماثلنا أو يشبهنا في كثير وإن صغر حجمه... فلم لا يكون بالتالي له صوت ولديه لغة وبذلك يمكنه التفاهم مع سواه؟

على أن الدكتور عماد ترك مقعده ووقف... ولــوح بوريقــات يمسكها بيده ووجهه ينطق بالرجاء والخوف معًا...

- ما يقودك إليه حماسك سابق لأوانه... لقد ابتكــرت تعــديلا سجلته على الورق وسأنفذه غدًا على المجهر الإلكتروني ذاتــه... إننا نجري تحايلا بسيطًا عله يأتي بنتيجة... فكما نكبر صورته قد نستطيع تكبير ما يصدر عن الكائن مــن ذبــذبات... وعندئــذ... سنعرف إن كانت له لغة أم شيء مختلف...

☆☆☆☆

[٦]

ساد الهدوء الظاهري وامتد بجميع أنحاء القاعدة الرئيسـية بتوقـف الأحداث المؤسفة رغم ما تركته من آثار لن تمحى بسرعة، وقد انتهت العاصفة بكل عتوها وعاد الجو إلى استقراره وصـفاء سـمائه، إلا أن الكل بقي على توجسه وريبـه وتوقعـه للأسـوأ باسـتمرار... بـل واضطربت كفاءة الخبراء والفنيين وتشاغلوا بدلخلهم عمـا يزاولـون بأيديهم من أعمال... أما العسكريون فقد تحولت وجوههم إلى آلاف من الأعين تراقب وتتفحص وتستريب بينما أصابعهم على أزناد أسـلحتهم بصفة دائمة حتى وهم نيام... ولا صوت لطفل أو كلـب حراسـة أو طائر شارد ينتقل من شجرة لأخرى...

اثنان فقط ظلا بمعزل عن بقية القاعدة، فإضافة إلى مسـئولياتهما اليومية كانا في شغل شاغل بالسهر وإجابة طلبات وافد غير متوقـع وضئيل إلى أبعد حدود الضآلة... قد أتى من بعيد إلى كوكب الأرض أو هكذا يُظَن... لقد أتم الدكتور عماد توصيل أسلاك الجهاز البـدائي الذي جمع أجزاءه وصنعه على عجل بمكان بقمة المجهر الإلكتروني، وأعاد تفحص ملفه وتوصيلاته كما أعـد أزرار المجهـر للتشـغيل وأخيرًا أوصله بالكهرباء... والتفت إلى الدكتور خميس: والآن ضـع شريحة السليلوز وعليها الكائن في مكانها بالمجهر...

انصاع صاحبه لطلبه في حين أطفأ الـدكتور عمـاد أضـواء الحجرة واتخذ موقعه لدى لوحه تشغيل المجهر... وقال الـدكتور عماد وهو يحرك أصابعه على مجموعـة الأزرار: إلـى جانـب

الرؤية المجسمة، فسوف نستمع من اللحظة إلى أقل ذبذبة موجية تصدر عن هذا الشيء... أقصد كائنك الجرثومي...

بانت صورة الكائن واضحة رائقة على الشاشة المستطيلة أفقيًا والمنبعجة للخارج في المواجهة وشاهده العالمان يجلس على القوام السليلوزي للشريحة وذراعاه تستندان مرتكزتين على كفيه المفتوحتين إلى أسفل، وبدا واضحًا لأعين العالمين أن الكائن إنما استعاد الآن بعضًا من صحته وقواه البدنية...

وراقبا رأسه ووجهه المسطح بعض الشيء وقد استقرت في أعلاه عينان واسعتان شبه ناعستين أو تائهتين، كان واجمًا، يحتويه انشغال عميق، وأيضًا كانت هناك تقطيبة أسىً وحيرة تمتد بطول جبهته المتسعة من الأذن إلى الأذن...

إلا أن الكائن اهتز بغتة، اهتز بعنف وأطال عنقه ثم حنى رأسه ومد أنفه، مده إلى الأمام مرفوعًا مشرئبًا. وراح يرعشه في حدة وعصبية... كان واضحًا بما لا يدع مجالا للشك أنه يتشمم الهواء مثلما تفعل القطط، ثم قفز واقفًا... وفي الحال ابتدأ يزاول حركاته وإيماءاته... لتروح صور المجهر خلال ثوان تتداعى نحو البهتان فالإعتمام. وفي ذات اللحظة تعالى عبر ميكروفون دقيق ما يشبه صفيرًا واهنًا متقطعًا يأتي من غور بعيد...

- إذن فالكائن يصدر صفيرًا... والصفير مصدر العتامة...

بينما امتعض الدكتور خميس لما كشف عنه الجهاز... يصدر صفيرًا... صفيرًا!!!؟

على أن الصفير لم يستمر على وتيرة ولحدة وإنما تنوعت نغماته، ولأخذت تتشكل بين جهر وخفوت وتفاوت وتدرج في الإيقاع...

عندئذ هتف الدكتور عماد: أتسمع...؟ على وهنه فهو نوع من

الصفير... منغم...

ولاحقه الدكتور خميس بسؤاله: فهل ترجح أنه لغة للكائن؟

- ولم لا؟

- بذلك تزداد الأمور تعقيدًا... وإلا فكيف لنا بحل اللغز الجديد... أو قل الشفرة الكونية...

أشاح الدكتور عماد بوجهه بعيدًا، همس من بطنه متوجعًا... يائسًا.

- لا أدري... لا أدري...

تزايد ضجر الدكتور خميس وتملكه الحنق لرد صاحبه، فمنذ البداية هو حانق ويكاد يتفجر غيظًا كلما تراكمت الألغاز والمعميات من حوله، أوليس طبع الرجل نفاد الصبر، والوصول إلى درجة الغضب لأقل بادرة، حتى إنه يغضب من تصرفاته هو نفسه؟

- أرجوك لا تبتئس... فأنا مثلك غارق في الحيرة... بل ضائع...

انجابت الغمة بعض الشيء لسماعه كلمة صاحبه: أفهمك بالطبع... وأعرف أن الحلول آتية بإذن الله.

وجرب الدكتور عماد أن يقلد إيقاع الصفير الصادر عن الكائن الجرثومي وما أن انتهى حتى بدا وكأنه يكلم نفسه في صوت مسموع: الصفير نغم... موسيقى... ترددات وذبذبات... موجات ترحل إلى بعيد...

- لكن لأن النغمات نوع من اهتزازات الصوت... فهي لا تتنقل في فراغ فلا بد لها من وسط تعبره موجاتها... فكيف لأية نغمات... أن تعبر صمام المجهر الإلكتروني المفرغ كلية من آية جزئيات؟

ابتسم الدكتور عماد... جرت الإجابة على لسانه...

- هنا نتناسى شيئين... أولهما أن أجهزة المجاهر الإلكترونية اليوم تقدمت عما كانت عليه بالأمس، وجهازنا هذا من النماذج الحديثة المعدلة بحيث لا يضيرها أن تزود بصمامات مفرغة مائة في المائة، أما الشيء الثاني فهو الصفير أو النغمات التي تصدر عن الكائن فهذا يكبره جهازي كما يكبر المجهر صورة الكائن ذاته عشرات المرات... فكل من الكائن وكذا صفيره في الأصل بالغ الوهن...

- تقول... إنه رغمًا عن ضعف نبذبات الصفير فهي تؤثر على وضوح صور المجهر... وتكاد تطمسها!!

- هذا ما يحدث بالفعل... والسبب استمرار توالي تدفقها...

ويعود العالمان لمراقبة صور الكائن الجرثومي بينما تبهت وتعتم معالمها وقت تعالي نغمات الصفير في توافق وإيقاع يكاد ينطق بمعان وألفاظ محددة... فمتى توقف الصفير تعود الصورة للوضوح... وتومض بؤرة في مخ الدكتور خميس، فيستدير قائلا في عجلة...

- الأحسن أن نلجأ لاستشارة العقل الإلكتروني...

ويستحسن الدكتور عماد قول صاحبه: فكرة جيدة.

- فقط نحتاج خبيرًا.

ويربت الدكتور عماد على كتف خميس: موجود...

- تقصد رئيس القاعدة... اللواء عبد الرحمن محمد؟

- وهل لدينا غيره؟ إنه الأكثر معرفة ودراية باستخدامات هذه الآلات الإلكترونية وبأسرارها...

- ولكني أشك أنه يترك مسئولياته الجسام في الوقت الحالي

بالذات... خاصة وموضوعنا ليس عاجلا!

إلا أن الدكتور عماد يعترض مصرًا: ولم لا نقول إن عمله معنا قد يخفف من وطأة مشاغله... ثـم إن موضـوع الكـائن ملـح وخطير... عمومًا دعني أجرب معه...

ويهمس خميس في غير اقتناع: هه... حاول...

☆☆☆☆

تزايدت وطأة موجة غير عادية من الجو الحار، وشوهدت لدى غروب الشمس بقرصها الكبير أسرابًا تتوالى من الطيور المهاجرة نحو الشمال، فلما حل الظلام موه الأفق ستار خفيف من الضـباب المبكر والذي لم تتضح عبره سوى نجمات باهتات، في حين بـان قرب الصباح القمر المختنق يتعجل المضي والاختفاء فيمـا وراء التلة القصية غربًا...

ومن الغرب فيما وراء التلة تتوهج فجأة نقطة ضـوء قويـة، لتروح تقترب وتبرز وسط الظلمة لتتحول إلى نجم مضيء يلمـع بعيدًا، إلا أن النجم يزداد قربًا ووضوحًا متحولا بدوره إلى ثريـا ضخمة ترصعها بؤرات ماسية من الأضواء الحانية المتلألئة، وقد أقبلت تتهادى في عظمة وجلال وكأنها مدينة أسطورية تسبح فـي الأعلى، أو كأننا نشاهد ملايين النجوم وقد تجاذبت وتجمعت فـي عنقود واحد مهول انطلق يشق عنان السماء بكيفية فاقـت حـدود الإعجاز والإبهار...

– آه، إنها منصة الفضاء الضخمة "الأفق العربي"... كم هي جميلة.

قالتها مفتخرة ملاحة الفضاء مجيدة بينما تتطلع لأعلـى وهـي تسترخي بجوار الخيمة المعدنية في نهاية يوم شاق...

– إنها أكثر ما قدمه الفكر والأيدي المصرية... دقة... ومهابة...

كانت إجابة الملاح عصام وهو يتطلع بدوره عاليًا من فرجة في الخيمة بينما يجلس على طرف سريره بداخلها في حين بلع عبدالمنصف زميلهما ما قضمه من شطيرته ليوجه كلامه إلى زميليه وهو يشير إلى منصة الفضاء العابرة فوقهم ذات اللحظة: إن رئيسنا يعرف كافة خباياها تمام المعرفة... أليس هو الذي قاد أول فريق أطلقها إلى مدارها الواطئ حول الأرض؟ واستدار عبد المنصف إلى حيث يجاوره في الجلوس على الحشائش خارج الخيمة العقيد جوهر وتابع: أليس كذلك... منذ ١٧ شهرًا كما أتذكر؟

عاد العقيد جوهر بذاكرته إلى الوراء إلى حيث انطلق هو وطاقم زملائه في ذلك اليوم المشهود وامتطوا أضخم سفينة فضاء مصرية يتم إنشاؤها في مصانع حلوان منذ عرفت البلاد طريق وأسلوب ارتياد الفضاء، قال ونبرات صوته تشوبها رنة حياء وتواضع...

- ما زلت أعيش الحدث الرائع... إن منصة "الأفق العربي" تزن ثلاثة آلاف طن... أو ما يماثل وزن ثلاثة غواصات نووية... ومع وزنها الضخم هي أعرض وأكثر انسيابية... وقد أطلقتها الصواريخ الستة الحاملة لجسمها ونحن بداخله... في أدق وأسهل صعود صاروخي نحو الفضاء، حتى تم وضعها في مدارها المحدود على ارتفاع ٢١٥٠ كيلو مترًا...

تناولت مجيدة رشفتين من زجاجة عصير بيدها: ألم تنطلق المنصة وهي تحمل التليسكوب الآلي ذا المرآة الجامعة بقطر ٣٤٠ سنتيمترًا من أجل البحث عن حضارات كوكبية... قد تحوي كائنات ذكية؟

عندئذ برز من الخيمة الملاح عطية ولوح بذراعه نحو المنصة المتهادية... يصحح لزميلته معلوماتها:

- المنصة لم تحمل التليسكوب وحده... إنما حملت أيضًا أجهزة

مهمة للغاية... للتنصت الموجي وقياس الإشعاعات الكونية والتفاعلات النووية الهائلة داخل النجوم... وأجهزة أخرى لكشف الغازات والمعادن ولمراقبة الظواهر الفلكية المحيرة كالثقوب السوداء وما شابه... إلى جانب الأجهزة المعتاد استخدامها لمراقبة كوكبنا الأرض بعد المزيد من تطويرها كتلك الخاصة بمراقبة التلوث، أو تكون الأعاصير، أو مراقبة طبقة الأوزون، أو الكشف المبكر عن الزلازل... وغير ذلك...

زفر العقيد جوهر عميقًا، استلقى على جذع شجرة وذراعاه معقودتان خلف رأسه وتمتم وهو يلاحق المنصة في حجمها الخرافي وقد همت في الابتعاد من فوقهم رويدًا رويدًا...

- انظروا وتأملوها بملء أعينكم... أليست عظيمة... وهي تماثل مجمعًا سكنيًا عملاقًا من خمسة طوابق... بمتوسط ثلاثمائة حجرة... ويعمل عليها دائمًا ٧٥٠ فردًا بين عالم وأخصائي وملاح فضاء... أضافت مجيدة في صيغة استفسار: وأظن عليها مطار كوني؟

- أجل... وهو يحوي باستمرار اثنين من المتنقلات الفضائية... المسماة بالمكوك... ويمكنها استقبال اثنين غيرهما في نفس الوقت...

شرب عطية زجاجة العصير دفعة واحدة: ألا زلت تتذكر مقاييس المنصة يا ريس؟

أجاب العقيد جوهر: قطرها البيضاوي ١٤٠ في ١٥٥ مترًا... وارتفاعها ٣٦ مترًا...

ضرب عطية الأرقام بحاسبة جيبه ليعلن: إذن فحجم هذه المنصة نحو ٧٥٦ ألف متر مكعب... في هذه الأثناء نفض عصام عنه إحساسه بالتعب، وتحامل يغادر الخيمة لينتصب خارجها

ويروح يحدق طويلا إلى أضواء المنصة وهي تنعكس ضاوية مبرقة على جسمها الخارجي بثنياته وتقسيماته البديعة لكنه بغتة استدار، واجه رئيسه وزملاءه واقفًا بينما هم جلوس، وألقى سؤالا بدا أنه يشغله...

- المهم يا سيدي القائد ما الذي أتت به هذه المنصة خلال العام ونصف العام منذ أطلقت إلى مدارها؟ ما الذي أثبتته... أو توصلت إليه... أو على الأقل رجحته... حول وجود كائنات وحضارات ذكية بأنحاء الكون؟

تحركت الرءوس، تركت على مضض المدينة الأسطورية الراحلة بينما لا تزال ثرياتها تتوهج مضيئة السماء حتى آخر جانبيها، لتحط على جسد المتكلم الواقف، باهتًا، مموهًا، إلا من بقايا لأضواء المنصة... تعالى صوت العقيد جوهر يسري: إن آخر التقارير المعلنة لم يأت بجديد... على أني علمت مصادفة أن تقريرًا حديثًا يعد الآن... يقولون إنه سيتضمن كشفًا مثيرًا لأربعة كواكب وربما خمس في أربع مجموعات شمسية تستقر متباعدة بالطرف السفلي من مجرتنا سكة التبانة... وينتمي الكواكب الأربعة لنجوم الطيف من المجموعة (ج) التي تمثلها شمسنا... أما الخامس فهو من توابع أحد نجوم الهالة الحمراء ومقره بالطرف الحلزوني لمجرة المرآة المسلسلة. وقد أعطيت للكواكب المكتشفة الرموز: س٣، د٧٨، مصري، مصري٢، ومصري٣... ويرجحون وجود حياة ذكية على سطوحها... والكوكب قبل الأخير (مصري٢) يخصه التقرير بذكر مبررات شبه مؤكدة عما سواه.

ويضيف عطية: لقد قرأت مؤخرًا في دراسة حديثة... عن أن عددًا من كواكب مجرتنا وأيضًا من الكواكب الموجودة ضمن

مجموعات شمسية من نجوم الطيف بالمجموعة (ج) التي ذكرها ريسنا، وأبرزها النجم قنطورس... كانت عليها حياة سابقة أو هي مهيأة لازدهار حياة ذكية على سطوحها...

وينحني عصام وقد اختفت تفاصيل وجهه بابتعاد أنوار منصة الفضاء الراحلة تجاه الأفق...

- علميًا الإنسان ليس وحده في الكون... هذا ما تقوله الأديان السماوية وتؤكده الاحتمالات الكيميائية وأما تأكيدات الاحتمال الرياضي فهي قاطعة في هذا الصدد...

وتوافقه مجيدة: في حدود قدرات الرصد الفلكي لدينا... هناك في الكون حوالي ثلاثة ملايين كوكب لاحتمالات تواجد حياة مؤكدة على أكثر من نصفها... وهي غالبًا مختلفة ومتنوعة عن حياتنا الأرضية...

ويتابع عصام: والعقبة الوحيدة أمام الاتصال بيننا وهؤلاء سكان الكواكب الأخرى... هو بعد المسافات... فدوننا وإياهم أبعاد تقاس بالأعوام الضوئية لاتساعات الكون الخرافية...

لكن عبد المنصف كان لديه اعتراض: ترجحون تباين المخلوقات واختلاف صورها من كوكب لآخر وأنا على يقين أن صفات المادة وتكوينها ستظل متشابهة في أنحاء الكون جميعه... بمعنى أن الكون يشكل وحدة بناء واحدة على ترامي أبعاده... لذا مخلوقات الله لن تختلف عن مثيلتها على كوكبنا...

ويعلن العقيد جوهر عن وجهة نظره في لهجة أبوية حانية: افهمني يا عبد المنصف... قرآننا الكريم عندما يؤكد أن الله يخلق ما لا تعلمون إنما يحدد حقيقة لا جدال فيها... ونحن على سطح الأرض ما نزال نكتشف يومًا بعد يوم العجيب المذهل من الكائنات... بعضها يعيش في درجة غليان الماء والبعض في درجة

التجمد... وبعضها يحيا بلا غذاء والبعض بلا أكسجين والبعض الثالث بلا حواس وهكذا...

ويعاند عبد المنصف: يا سيدي، إنما أنا أتكلم عن التشكيل الظاهري وكذا الخارجي لوحدة التركيب، من حيث وجود أعين وآذان وأنوف وأفواه ولوامس... وكذلك ما يختص بالأداء الحيوي لدى الجميع من تغذية وهضم ودورة دموية وأخرى عصبية وثالثة للتنفس ورابعة للإفراز وخامسة جنسية للتناسل وغير ذلك متعدد مما يمكن تطبيقه على كافة المخلوقات مع تغير الشكل وكيفية الأداء... وإن ظل الغرض واحدًا لدى الكل... ويبرز فؤاد الذي استيقظ على أصوات زملائه: وماذا تقولون عما يشاع عن الكائنات الصخرية... والثلجية... وكذا النورانية... أو التي تتشكل في صور ضبابية... مما وعيناه في الكتب وسمعنا قصصًا طريفة عن وجوده... وآخرها لغز الصخور المتحركة على المريخ...!!

لكن العقيد جوهر يهز رأسه ضاحكًا، ويشير بإصبعه إلى فؤاد وعبد المنصف قائلا...

- هذه أغلبها رؤى مختلفة... وأنت يا فؤاد وكذا عبد المنصف تخلطان بين الحقائق المؤكدة والأوهام أو الاستنباطات غير المؤكدة...

ويقول فؤاد بينما عبد المنصف صامت: ما ذكرته قد قرأته في دراسات وأبحاث تحتويها كتب كما حددت...

وقاطع العقيد القائد مرعوسه منفعلا: صدقني يا بني، فليست كل الكتب جادة... كما أن ليس كل جديد تعيه وتفهمه الأقلام لتسجله في الكتب... وأقربها الكائنات الجرثومية العاقلة...

وفي يقظة للحوار الدائر يلتقط طه الكلمة: تقول.. جرثومية.. وعاقلة!!

ينزعج جوهر: لا... لا شيء مؤكد بعد... إنما يظن أنها...

ويتوقف عن تكملة عبارته دون سبب... في حين يسأل عبدالمنصف وعيناه مركزتان: وأين أذيع أو كتب خبر هذه الكائنات الجرثومية العاقلة... أنا لم أسمعه؟

- ولا أنا...

وبينما ينتظر الحضور إيضاحًا مباشرًا من رئيسهم... يعود الأخير إلى شعوره فيهوله ما كاد ينزلق إليه لسانه... فيتمتم في شبه اعتذار قاصدًا حجب الحقيقة قدر استطاعته ولو إلى حين...

- يعني... ليس بالضبط ما فهتم... وإنما أريد أن أقول... إن لدي... الظن... بأنه... قد توجد... كائنات عاقلة مثل البشر... لكن في أحجام دنيا... كأحجام الجراثيم والخلايا الـ...

ثم يقبض الرجل على مدفعه الليزري... ويعطيهم ظهره متشاغلا بإجالة بصره عبر الأفق بحثًا عن المنصة السابحة في الفضاء فلا يجدها... فيعود إلى مواجهة مساعديه حاثًا إياهم على النهوض والتوجه إلى حيث الطبق الطائر فقد حانت ساعة الإقلاع والرحيل عن القاعدة الفرعية...

في صمت ينهض الرجال... ويطوون الخيمة المعدنية سريعًا... ليأخذوا خطاهم تجاه الطبق... وسط نسمات قد خفت سخونتها ولانت لمساتها، وإن أصرت على مداعبة وجوههم وأطراف ستراتهم مذكرة بسابق عنفها... وكان رحيل الطبق هذه المرة عاجلا هينًا في اتجاه القاعدة الرئيسية...

☆☆☆☆

[٧]

رغم سكون البيت رقم ١٤ وإظلام غالبية حجراته، فقد بقي البهو الأوسط والصالة الأمامية والشرفات الخارجية تضيئها أنوار الجدران فيروزيًا مهدئًا للأعصاب...

وبقي العالمان مسهدين يتقلب كل منهما طوال الليل على فراش من الأفكار السوداء...

وقد هد التعب زوجة الدكتور عماد فلم تبادله سوى كلمات نامت على أثرها، وكما توارى أولادها منكمشين على أسرتهم قبل ساعتي زمن، ليظل الدكتور عماد يقظان يحدق في عقارب فسفورية معلقة يتلاقى عقرباها كل ساعة وخمس دقائق إلى ما لا نهاية. وكذلك كان الدكتور خميس متوسدًا فراشه في الحجرة المواجهة بآخر البهو، يسعل ويتقلب بجثمانه الثقيل دون أن تنغلق عيناه...

كان شاغل الرجلين وسبب سهادهما واحدًا... "ترى ما كنه الصفير الذي يصدره الكائن الجرثومي؟ أهو ذبذبات لتركيبات أو جمل تتشكل معبرة عن لغة ما حقًا. وعندئذ وعلى الفور يصنف مطلقها مخلوقًا ذكيًا متحضرًا؟ أم أن الصفير لا يعدو كونه نوعًا من الزقزقة، أو المواء، أو العواء، أو الصهيل، أو أيًا يكون ليضع صاحبه في مصاف الحيوان والمخلوقات غير الذكية وغير المتحضرة؟ فإذا جاء تصنيف الكائن من النوع الثاني فليست هناك مشكلة، إنما تثار المشاكل وبضراوة حين يثبت ذكاء الكائن ويتحقق تحضره... ولعل أولى المشاكل ستكون وقع الخبر المثير وصداه

المرعب في أرجاء عالم البشر الأرضيين مجلجلا، فإذا ما عم الخبر مع ردود فعله المتباينة والتي يستحيل التنبؤ بمداها، فإنه سيصبح من أشق الأمور إقناع هؤلاء البشر بوجود كائنات على درجة من الذكاء والتحضر، وأيضًا تشبه الإنسان في أوصافها الظاهرية،. بينما أحجامها ضئيلة متلاشية بحيث يستحيل مشاهدتها بغير المجهر مثلها مثل الجراثيم"...

وحين جمعت مائدة الإفطار الرجلين دكتور عماد علام وزميله الدكتور خميس بدر الدين وأسرة الأول في الصباح فإنهما دون الآخرين لم يتناولا غير الشاي، فقط أضاف الدكتور عماد إلى كوبه بعض مسحوق الحليب... إلا أنه بعد رشفة أو اثنتين نسي الكوب تمامًا وهو يسارع مع زميله لاستقلال الحوامة الصاروخية للذهاب إلى أكثر أماكن المنطقة قربًا إلى قلبيهما... قاعة المجهر الإلكتروني... وما أن وصلا للقاعدة المنشودة حتى شمر الدكتور عماد عن ساعديه وانهمك في توصيل عدد من صمامات ومكثفات دائرة إلكترونية قصيرة بين كل من المجهر العملاق ووحدات العقل الإلكتروني، فإنه رغم تخصصه في علم الفلك كان يغرم كذلك بهندسة الإلكترونات والبصريات والعقول الآلية، وطالما شارك الخبراء أعمالهم وحل لهم عددًا من معضلاتهم في مجال هوايته...

ولم يضيع الدكتور خميس وقته بدوره فقد بادر بالعودة إلى مراقبة الكائن الجرثومي من جديد، مع تسجيل وصف دقيق لشكله وملابسه وأدواته، وأيضًا لأقل تصرف أو حركة تبدر منه...

وانتصف النهار ليتوقف الدكتور عماد عن الذهاب والعودة فيما بين قاعتي المجهر والعقل الإلكتروني:

- أعتقد أنني أنهيت عملي... لقد أتممت التوصيلات اللازمة...

وبقي أن يفي اللواء عبد الرحمن بوعده... فينتزع نفسه مما يشغله ويأتي ولو لبعض الوقت كما وعدني...

امتعض الدكتور خميس: إن برمجة العقل عمل ليس بالهين... وبعض الوقت هذه لا تفي بالغرض.

- سوف نساعده...

قلب خميس شفته: لا تحضرني الأسئلة المناسبة... للبرمجة...

- ولا أنا...

وتومض فكرة في رأس الدكتور خميس: هناك دراسة شيقة عن لغات البشر ولهجاتهم... منذ عرف الإنسان القديم الكلام... إلى معرفته للهيروغليفية والديموطيقية... وحتى ظهور اللغات المعروفة... ويتساءل الدكتور عماد: أمعك هذا الكتاب؟

- بل هو ضمن محفوظات مكتبة القاعدة... وأنا أعرف مكانه...

وتقبل حلة اللواء أنيقة لامعة الأزرار كعادتها، لكن الرجل يتضح هزيلا شاحبًا بداخلها... وكلما اقترب تتضح الهالات الداكنة حول عينيه وحول فمه وذقنه، لكنه يبادرهما بصوت جهوري معتذر.

- تأخرت عليكما... آسف...

استقبلاه ببشاشة... وأفسح له الدكتور خميس مكانًا ليجلس، إلا أن اللواء عبد الرحمن ربت على كتفه شاكرًا...

- لا، أشكرك... ليس لدي وقت ولا أنتم... ثم وجه كلامه للدكتور عماد... هه... ما المطلوب مني يا دكتور؟

في إيجاز أوضح الدكتور عماد فكرته لرئيس القاعدة حول إمكانية التوصل لفك لغز الصفير الذي يصدره الكائن الجرثومي مستعينًا بالعقل الإلكتروني التحليلي، ثم أطلعه على ما قام بإنجازه

من تركيب لبعض الوصلات السلكية المحددة بين القاعتين بهدف ربط المجهر بجهاز العقل تنفيذًا لفكرته، وأضاف: "إنه لم يتبق غير عملية برمجة العقل ذاته لاستخدامه في إجراء التجربة المطلوبة"...

وهكذا انهمك في الحال اللواء عبد الرحمن والدكتور عماد في اتخاذ إجراءات البرمجة، بينما أسرع الدكتور خميس يغادرهما مؤقتًا لإحضار الكتاب الذي أعلن وجوده بمكتبة القاعدة...

☆☆☆☆

(الصفير المنغم) قد لا يتعدى نطاق الذبذبات والإيقاعات والترددات الموسيقية البحتة، أو هو نوع من طرق الاتصال بين المخلوقات الدنيا والتي تلجأ إلى الفج من التعبير الصوتي الأولي للنداء أو التحذير أو الغزل إلى آخرة... أو يحتمل أن يكون أيضًا نوعًا من الإشارة والشفرة للغة مجهولة ينطقها مخلوق ذكي، ومن ثم فالعملية منذ البداية ذات شقين ينبغي تناولهما معًا: هما (فن النغم) و(تطور لغات البشر)، وحتى يقود أحدهما أو كلاهما إلى السر الكبير... أو المعجزة المنتظرة...

وهكذا انهمك الرجال الثلاثة يعملون في حماس كفريق متكامل، ومنذ البداية صنفوا عملهم ورتبوه عبر مجموعتين متضافرتين من المعلومات: مجموعة المصادر الأولية وقواعد التحليل الصوتي وفن الألحان والنغم وما تضمه من مصطلحات وتقسيمات ومدرجات صوتية وعنصر الإيقاع، إلى أن يصل للنوتة والجمل والمركبات المطولة، ومجموعة ثانية تحتوي على ما يجاوز ألفًا من التنويعات اللغوية واللهجات القومية، والمتغيرات التي تصحبها منذ منطوقة رجل الكهف البدائي وإلى انتشار اللغات العالمية...

وطال الوقت باللواء قائد القاعدة ورئيسها وبالعالمين المتفانيين

المخلصين، حتى أتموا عملهم وأحكموا خطتهم وقد انتصف الليل أو كاد، باختيار الاسم المناسب للتجربة الوشيكة (عملية الصفير الآتي من حجم الصفر)... ثم اختصروا الاسم ليطلقوه مختصرًا "صـــفير الصفر"...

عندئذ انهمك الرجال هذه المــرة فــي تغذيــة ذاكــرة العقــل الإلكتروني التحليلي من الجيل ٢٧ بكافة المعادلات الرقميــة لمــا سبق وصنفوه ثم بوبوه ورتبوه من معلومات فنية ولغوية.

وقطع الزمن معهم مرحلة أخيرة أوصلتهم إلى فجر اليوم التالي حين انتهوا من برمجتهم وإعدادهم كلا الجهازين... للتشغيل معًا، ورغمًا عن إحساس كلٍ منهم بالإجهاد الشديد فقد بقوا متماســكين رابضين في موقعهم لهفًا على إنهاء المرحلة التالية... التي قد تقفز بهم إلى ما لا يخطر على بال أحد...

وأمسك الدكتور خميس بشريحة السليلوز وعليها ونيس وحدته الكائن الجرثومي، وفي هدوء وحرص غيب الشــريحة بمكانهــا المخصص في المجهر الإلكتروني... وبدأ التشغيل...

أضيئت شاشة المجهر، وبانت صورة الكائن واضحة مجسمة، لتستقبلها مشاعر الرجال الثلاثة بكثير من الألفة وكأن مودة قديمة تربطهم به... بدا جالسًا منزويًا، لكن وجهه كــان نضــرًا وبدنــه معافىً فقط راح يتطلع فيما حوله بترقب وقلق وشرود تنطق بهما كل لمحة في قسماته...

تمتم الدكتور خميس وهو يتأمل الصورة الملونة للكــائن فــي إعجاب: يدهشني أمره... كيف يظل حيًا دون غذاء؟

ابتسم الدكتور عماد، قال وهو يحرك مؤشرًا ليزيد إضاءة مكمن الشريحة البلاستيكية بالمجهر...

- أوشكت أن تناديه... بصديقي...

ولم يتردد الدكتور خميس عن الإفصاح عما بداخله: رغم الصدمة المبكرة لدى اكتشافه لما قد يسببه وأتباعه من أضرار للبشر... فإنني حقًا آلفه... وأتعاطف معه...

وفي هذه الأثناء لاحظوا الكائن عبر شاشة المجهر يتحفز، ويهم برأسه، ويمد عنقه لأقصاه؛ ليتشمم الفضاء فيما يحيطه... ثم يعتريه توجس غامض يبدو في التفاتاته العنيفة وهو يلقي ببصره لأعلى ويطوح برأسه يرسم بها دوائر عصبية غير كاملة، فقد تنبه لوجود من يراقبه ويحصي عليه حركاته، وكعادته سابقًا شاهدوه يسارع بتأدية ما يماثل التمرينات الرياضية المتلاحقة من قفز وثني ومد لقدميه وذراعيه... لقد وضح الآن أن الكائن تأكد من وجودهم بحاسة مذهلة تصدر عن وجهه المسطح، من الثقبين لفتحتي الأنف البشرية! وفي الحال أيضًا أظلمت الشاشة وكادت معالم الرؤية تنطمس كالمرات السابقة وصفير الكائن يتعالى رفيعًا حادًا هذه المرة... إلا أن الصفير اعتراه نوع من التنظيم ليس مألوفًا ولا مريحًا يميل للحزن واللوعة...

بلغت يقظة الرجال مداها وتركيزهم ذروته...

وفي ثقة مال الدكتور عماد يضغط على لوحة مغايرة بإصبع ثابت زرًا مربعًا أزرق... وعلى أثره أزت بؤرات كروية، وضوت لمبات، وجرى سيال من نور مخضر عبر أنبوب منحن، وامتدادًا للنور المخضر دارت بكرات الأشرطة الممغنطة بلفاتها الهائلة وأزيزها الرتيب...

تيبريم... تيبريم... تيبريم... زام... زام...

تيبريم... تيبريم... تيبريم... كلوك... زام... زام...

وبدا وكأن ماردًا جبارًا يستجمع قواه بعد طول سبات، وأن مائة ذراع وألف إصبع نبتت له وأخذت تنقب عبر المليارات من الكلمات والأرقام والمصطلحات، لتنبش بينها وتختار أنسبها...

وهبطت أصابع الدكتور عماد تعطي أوامره على الأزرار الموصلة للعقل الإلكتروني موجهًا له أول الاستفسارات... في حين بادرت أصابع الدكتور خميس للضغط بدورها على أزرار المجهر الإلكتروني استجابة لذات المطلب المشترك، وعبر وحدة العرض المحدبة المرئية تتالت الأحرف تجرِي من اليمين إلى اليسار، معطية نتائج العقل الإلكتروني التحليلي على هيئة نبضات رتيبة مقروءة:

"الصفير ليس وحده ما يصدر عن الكائن الضئيل في حجم جرثومي والآتي من الكواكب... هناك صوت آخر ينبعث عن الكائن من طبقة فوقية... مما لا تستطيع آذان البشر سماعه لوقوعه خارج نطاق قدراتها على تسجيل الأصوات...".

جلس اللواء عبد الرحمن إلى آلة ثانية لإعطاء الأوامر وطرح الأسئلة... طرح سؤالا ملحًا وهو يستخدم أصابع كلتا يديه... "هل ينبعث الصوتان معًا؟ أهما وجهان لشيء مشترك... أم لا علاقة بينهما على الإطلاق"... ويبادر العقل بإعطاء الإجابة...

"مصدر الصفير والأصوات الفوقية هو عضو أو أداة في تكوين الكائن... تختلف كلية عن الحنجرة الآدمية... ومكانها من قوام الكائن مجهول... والصوتان ينبعثان في ذات الوقت ليؤديا غرضًا موحدًا..."

ويتجه الدكتور عماد وجهة مغايرة في أسئلته: "هل تبلور إيقاعات ونغمات الصوتين معًا... أو أى منهما على حدة... معنىً ما يمكن متابعته وفهمه، في تقديرك... أي معنىً يكون؟"...

وتسرع إجابة العقل الإلكتروني...

"إن في طيات الصوتين معًا شيئًا خفيًا أجاهد للتوصل إلى ملامحه... رغم إبهامه... أعطوني وقتًا...".

ويعيد اللواء عبد الرحمن صياغة السؤال بأسلوب مختلف، وهو يضغط الأزرار يريد انطلاق الآلة برغمها: "فهل بنغمات الصوتين ما يشبه اللهجات... الترنيمات أو الصلوات... أهي أقرب إلى لغة ما ولو بدائية؟"...

وتتسارع البكرات وتتالى النبضات فيما يشبه الاحتكاك والتصادم... وتأتي الإجابة...

"ربما - ربما - ربما - أعطوني وقتًا... -..."

على أن الدكتور خميس لا تعجبه أسئلة رفيقيه، يضايقه إضاعتهما للوقت، فيقرر التدخل بالأسلوب الذي يعتقد أنه أكثر حسمًا، فيمد ذراعه بطولها ويروح بأصابعه ينحي أصابع الدكتور عماد: "من فضلك دقيقتين فحسب". ويميل على جانبه يطرق الأزرار الرابضة في عصبية معطيًا سؤالا له...

"قد تكون نغمات الصفير نوعًا من الشفرة غير المقصودة... مثلما حدث في التاريخ القديم... على أيدي الألمان في الحرب العالمية الثانية"...

ويتوقف الدكتور خميس، يعتدل، ليقول مفسرًا مصدر فكرته فيما يسجل بأصبعه...

- في واحدة من حروبنا القديمة... في الحرب العالمية الثانية منذ ٣٠٠ عام... استخدمت القيادة الألمانية ما تذيعه محطة عاصمتهم برلين من مقطوعات موسيقية... لتبث من خلال أنغامها شفرة خفيفة متضمنة تعليمات لجواسيسها ومخربيها بدول الحلفاء ومن في نطاقهم...

ويعاود خميس ضغطه على الأزرار مكملا: وخلال جزء يسير من دقيقة زمن تظهر إجابة العقل الإلكتروني...

"تغمات صوت الصفير تخلو من أية تركيبات شفرية...".

ويبادر الدكتور خميس بالميل تجاه الأزرار ثانية وتسجيل سؤال عبرها: "بقيت منطوقات اللغات القديمة... لتبحث وتتعقب في لغات الهيروغليفية، الديموطيقية، اليونانية، الرومانية، الفارسية، العبرية، الصينية، وغيرها... وتراجع لهجات كل لغة منها على حدة"...

وتتسارع لفات البكرات في جنون، ويعلن العقل بعد صمت دقيقة كاملة...

"لا... لا يوجد أدنى بصيص لحضور تشابه لغوي قديم... مع أي من نغمات الصوتين...".

وفجأة تبرز إضافة للسؤال السابق في ذهن اللواء عبدالرحمن فيسجلها: "ولا مع اللغات الحديثة؟"

وتتحشرج أصوات لفات البكرات حتى يبدو وكأنها ستتخلع من أماكنها، بل تحيط بأجنحة تثبيتها دخنة ضبابية تعلن مدى سخونة دورانها، ويتم رؤية تجاور الكلمات وكأنها من سرعتها برزت في وقت واحد...

"لا لا لا - إن ما يحدث - لهو المستحيل بعينه!!!"

وتكاد أصابع الدكتور خميس تقتلع الأزرار من أماكنها. "ما المقصود بكلمة مستحيل؟؟".

ويظل العقل الإلكتروني متشبثًا بكلماته ودوى ودخنة آلاته...

"إن الذي يحدث - مستحيل - إنه فوق مستوى التصور والفهم..."

وصمت العقل، وانطفأت أضواؤه ولم تعد أجهزته تستجيب لأي

ضغط على أزراره... وأسقط في أيدي الرجال الثلاثة...

هل تواجه محاولاتهم طريقًا مسدودًا؟ هل فشلت تجربتهم ومعها آمالهم نهائيًا.؟. لماذا؟

وقبع الثلاثة صامتين مدحورين... تمزقهم من الداخل مرارة اليأس... ويجمد أوصالهم خارجيًا العجز عن الإتيان بأي تصرف أو رد فعل... حتى التفكير في حل مسعف تبخر وتلاشى...

لكن بغتة حدثت معجزة، وعلى غير توقع تغير كل شيء... كل شيء...

أضيئت واجهة العقل الإلكتروني من جديد، زاد سطوع أضواء شاشة المجهر واتضح الكائن يجلس على صخرة هادئًا متحفزًا، بينما تحركت مسارات، وتعالى أزير خافت لأصوات مكتومة تعلن تدفق نوع خفي من الحركة الشاملة عبر الجهازين... ودون أن يلمس أحد شيئًا راحت وحدات العقل تعمل وكأن قوة خارقة تلهبها قسرًا، وتتالت أحرف غامضة تعبر وحدة العرض المرئي...

"إزاء عجز تدابيركم الكلي... أتدخل... أكلمكم بطريقتي... خلال جهازكم البدائي هذا .-.-.-.

أنا بيملخور .- ابن تيمينا إمبراطورة بيبيم الخارجية .-.-

وبيبيم هو ذاته قمر المريخ ويسميه الفلكيون لديكم فوبوس .-.-".

انتصب اللواء عبد الرحمن محمد في وقفة عسكرية مشدودة وذراعاه مدلاتان تلتصقان بجانبيه وفمه مفغور بلا أنفاس، في حين تشنجت أصابع الدكتور عماد علام فوق الأزرار وقد تيبست أفكاره وتاه بصره بين جهازي المجهر والعقل وهذه الخيالات الماردة التي انطلقت تسخر منه...

أما الدكتور خميس فقد تحول هو ومقعده إلى قوام واحد مثلج، بعد أن ثبّت بصره على كلمات العقل والتصق بحروفها النارية لا يحيد عنها...

ما هذا الهراء الذي تعلنه الكلمات التي لم يستدعها أحد من ثلاثتهم؟!!

ومن ذلك البيماخور؟ أحقًا هو ذات الكائن الجرثومي؟؟ فإذا كان كذلك، فمن أين استمد هذا المخلوق البالغ الضآلة والوهن، اللاشيء... قدرته الفذة ليسيطر على العقل الإلكتروني من الجيل ٢٧ المهول، والذي تفوق قدراته حجم المتلاشي، بمليارات ضعف؟!!

أي قدرة لهذا الهباء أتاحت له امتلاك زمام الأجهزة الجبارة، فأتمرت بأمره، وتحركت بمشيئته؟ بل منذ البداية أي علم متفوق لدى البيماخور... ال... جرثوم؟

وعادت الكلمات تترى بدفع القوة الخفية عبر وحدة العرض المرئية بالعقل...

"قلت لكم... لا تحملقوا في الكلمات فقط... تطلعوا إليّ أيضًا... أنا هنا... الحاضر أمامكم.- بنافذة المجهر الإلكتروني... ألا تسمونه هكذا؟-.-"

وعادت العيون الستة الجاحظة من وطأة الحيرة وعدم التصديق تحط من جديد على شاشة المجهر، وتركزت الأبصار عميقًا في قلب الصورة الملونة، عاد الكائن إلى الوقوف، ساكنًا واثقًا هذه المرة وقد هجر حركاته العقيمة السابقة، واستقام يحمل عبر قسماته المرئية في وضوح، كل معاني الرجاء...

تنبه الدكتور خميس، الحواس النشطة بداخله أزالت هول المفاجأة عنه سريعًا... حركته... دفعته ووجهته لاتخاذ الموقف

الواجب اتخاذه الآن، وعجلت أصابعه الواعية بـدورها بالضـغط على أزرار العقل...

"أنت اسمك بيماخور... أنت الذي استطعت تشـغيل العقـل... ومن خلاله خاطبتنا... كيف؟"...

"الآن تنظرون إلي .- لا ترونني كما يجب .- ركزوا أعينكم أكثر.- ركزوا على ما أحمل .- إنه عقل فاعل بلازمـي .- وهـو لـيس إلكترونيًا .- تجهلون قوة عقلي البلازمـي وكيفيـة تشـغيله .- وأدائه. إنه من الجيل بعد الـ٨٠٠ لدينا .- ويتفوق على جهازكم الضخم بـ١٠٠ مليون ضعف .-.-"

ركز الرجال الثلاثة أعينهم على صورة الكائن، بـدا متصـلبًا معتدًا، قد تبدلت المعاني عبر وجهه إلى الرضاء والراحة، وركزوا أكثر على يديه، هذه المرة رأوا الكرة ذات التقسـيمات المربعـة والمثلثة تستلين برفق بين أصابعه... إنه يعنيها... لا بد أن تكـون الكرة ما يسميه بالعقل البلازمي... لقد وعوا تمامًا ما يقصده...

وانفتح الباب على مصراعيه بعد طول انغلاق، وانهمر السيل، انهالت الأسئلة محمومة مجنونة من كل صوب، كأن الرجال الثلاثة قد تحولوا إلى مائة رجل قد طال كبتهم عن الكلام، وانطوى يـوم ثانٍ دون نوم أو راحة أو عدم حرق للأعصاب...

☆☆☆☆

[٨]

تشمم الفراغ حوله، هز رأسه الكبير عدة مرات، وأماله إلى عدة اتجاهات، أخيرًا استقر يتطلع في اتجاه الجالسين، والذين ميزوه بوضوح وهو يضغط نقاطًا بسطوح الكرة المبرقة براحة يده... وتتالت كلمات عبر وحدة العرض بالعقل الإلكتروني...

"أردت التأكد من حضوركم .- وإنصاتكم .- أتعرف عليكم فوريًا بالشم .- أقوى حواسنا .- لا نملك إبصارًا قويًا كإبصاركم .- إنه لدينا مختلف .- أما روائحكم فهي مميزة .- نفاذة .- تهب على الواحد منا متى أقبلتم .- فيمكن التعرف كذلك على فروقها .-.-"

وتوقفت الكلمات عن الظهور لثوان، لكن هيهات أن يجرؤ أحد على إبعاد وجهه عن وحدة العرض ولو ثواني...

"بداية .-.- قمر المريخ فوبوس .- ونسميه نحن بيبيم .- قمر مصنع .- شيده أهل المريخ العمالقة .- مثلكم .- وأطلقوه .- في مداره منذ أكثر من مليون عام .- هو أيضًا قمر مجوف .- تكونت في تجويفه المضيء الدافئ مجرة بيبيم الداخلية .- وتكونت خارجه لدى خط استوائه .- مجرة بيبيم الخارجية .- والثانية تحكمها أمي التي أنجبتني الإمبراطورة .- تيمينا .- والإمبراطورة هي التي أرسلت بعثتنا الانتحارية .- إلى كوكبكم المهول الذي لا بداية له ولا نهاية .-.-"

لم تشبع كلمات الكائن فضولهم، وإنما فجرت مزيدًا من الأسئلة

والاستفسارات كلٌ ملح ومهم وبالغ التوجس... وامتـدت أصـابع الرجال الثلاثة تفتش عن الأزرار وتتسابق لتوصـيل مـا يـدور متخبطًا متصارعًا بداخل رءوسهم لنقله إلى رأس الكائن... لولا أن الأخير استرسل في عرض المزيد من كلماته...

"أعرف .- أن لديكم أسئلة لا تنتهي .- كلها جادة وكلها مهمة .- أجيب البديهي منها .- ثم أترككم تسألون على حريتكم .- أولهـا كيف تتكون مجرة كونية .- بأكملها .- داخـل أو خـارج قمـر صناعي ؟-.-"

لكن الدكتور خميس انفجر يقاطع الكائن على غير توقع، كالمـدفع الرشاش انطلقت أصابعه المحمومة تسجل بعنـف علـى أزرار آلـة إعطاء الأوامر المثبتة قبالة الدكتور عماد سؤالا ناريًا مغايرًا...

"الأهم أن تخبرنا كيف عرفت لغتنا... كيف تكلمنا بكـل هـذا الوضوح... بل كيف نجح العقل الكروي الصغير بيدك، بينما فشل العقل الإلكتروني الذي يكبر آلتك بمليار ضعفه حجمًا؟؟...

على الفور انسابت كلمات الكائن بيماخور، عبر وحدة العرض المرئية...

"لقد قلتها لكم قبلُ .- فعقلكم الإلكتروني يكبر العقل الذي أمسـكه حجمًا فقط .- وليس قدرة .- ثم لا تنسوا أننا نسـبقكم حضـريًا بنحو .- ٨٠٠ ألف عام أو يزيد .- بحساب أرضكم .- وعلومنـا وتقنياتنا أرقى من علومكم وتقنيـاتكم .- بمقيـاس هـذا الـزمن الطويل .-.-"

عندئذ اندمج الدكتور عماد، فنحى أصابع الدكتور خميس عـن الأزرار برفق، ليصوغ سؤالا لم يملك حبسه...

"معنى ما تذكره... أنكم عرفتم بوجودنا على سـطح كوكبنـا

الأرض... من قديم الزمان؟".

فجاءه رد الكائن:

"عرفناكم .- ودرسنا مخلوقاتكم .- ولغاتكم .- وكافة مظاهر تقـدمكم .- فمنذ وجد أول بشري .- بدائي .- منكم .- وعبر آلاف الأعـوام .- وسجلاتنا تمتلئ بمسارات تقدمكم ونهضتكم الحضـارية .- إلا أن .- إلا أن .- أغلب توقعات ونظريات علمائنا .- لم تكن في صفكم لا سلوكيًا ولا إنسانيًا .- لكن أبدًا .- لم نلمس مدى حمقكم وعـدوانيتكم .- إلا أثناء .- حادثة .- يوم الفناء المطلق .-.-"

وعمت الدهشة والفضول القاتل اللواء عبد الـرحمن ليضـغط الأزرار بقسوة "يوم الفناء المطلق؟؟؟!!!! أي يوم تقصـد... وأي حادثة تعني؟"

بدت الإجابة مندفعة مبتورة حانقة، تخرج من فم الكائن وقد اشرأب يميل بشدة أمامًا وكأنه يتهيأ لتحطيم الشاشة والقفز نافذًا إليهم...

"١٢١ من كواكبنا دُمروا .- تفتتوا .- تناثروا .- ربع مجرة بيبيم الخارجية، أفنيتموها .- وأفنيتم كافة ما عليها من أحياء .- بـل وأفنيتم أعدادًا أخرى على كواكب بالمجرة لم يلحقها التـدمير .- والإحصاء المبدئي للقتلى يفوق الثلاثة مليارات .-.-"

وأفلت سؤال لم يدر أحد ممن. فقط زعقت الأزرار من وطـأة ضغط الأصابع التي سجلت أحرفه عليها...

"تقصد من؟ من فعل ذلك... من ارتكب هذا الجرم الشنيع؟"...

وشاهدوا الكائن عبر شاشة المجهر يشير بإصبعه الحانق فـي اتجاههم...

"أنتم .-.-.-.-

أنتم الآدميين .- البشر .- مردة كوكب الأرض .-.-"

وواضح أن الكائن يروي ذكريات بالغة المرارة. بالغة الأسى. فقد تحول وجهه عبر شاشة المجهر المقوسة إلى مسطح مخيف خالٍ من التعبير، وبسرعة وعنف أخذ لونه يتغير من الاحمرار، إلى البني، إلى الرمادي...

بينما همس الرجال الثلاثة في وقت واحد والذهول يحط عليهم ويشل تفكيرهم "نحن... مستحيل... متى وكيف؟"

وانهمر السيل عبر وحدة العرض بالعقل الإلكتروني، ليغرق الرجال المسمرين قبِلَ الوحدة في الكم المنهمر من المعلومات والأحداث الغريبة، إلى آذانهم، دون أن يقدر أحدهم الكف عن النظر والقراءة بكل عصب ينبض في جسده...

"أعود لتاريخ مجرتنا .- كما قلت .- الذي صمم القمر بيبيم وشيده... كان المريخيين .- الآن لا يوجد مريخيون .- هلكوا .- وهلكت الحياة كلها واندثرت من كوكبهم المريخ .- بعد تفجر الكوكب شنبالك .- أهل الأرض .- لا يعرفون شنبالك .- كان كوكبًا في حجم عطارد .- يتوسط المسافة بين المريخ والمشترى .- فجأة .-.- لسبب مجهول انفجر .- في دوي كما تذكر حكايات الرواة الأولين تفتت .- وتناثر إلى آلاف الحجارة والكتل الصماء .- أكبرها في حجم مدينة من مدنكم .- والبعض أصغر في حجم قاعة مجهركم .- ومعظمها في حجم كرة القدم التي تلعبون بها والذي يساوي حجم كوكب متوسط بمجرتنا .- وهكذا تراصت وتجمعت آلاف الكتل الحجرية هذه وسط الغبار .- والذرات الكونية .- وغيرها من مواد متناثرة .- لتنشأ ببطء مجرتان نادرتان .- الصغرى منها بداخل القمر الصناعي بيبيم .- والكبرى الثانية بخارجه .-.-.- هذه قصة مجرتينا .-.-"

تمتم الدكتور عماد لزميليه دون أن تجري أصابعه على الأزرار بشيء...

- الكائن بيماخور... يقصد أن مجموعة الكويكبات المتناثرة فيما بين المريخ والمشترى... كانت في الأصل... كوكبًا قائمًا بذاته... شأنه كبقية كواكب مجموعتنا الشمسية...

وجرت أصابع الدكتور خميس تتساءل بفظاظة وهي تسجل صوتًا صدئًا مع كل ضغطة على زر: "وهل كان مأهولا بالحياة؟"

وظهر الرد:

"كان مأهولا .- بالكائنات والحياة المتنوعة .- كما هو لديكم من كائنات ومن حياة متنوعة .- تأكد العلماء لدينا من حقيقة ذلك ببراهين قاطعة .- مع أن ذلك كله سبق وجودنا .- بزمن بعيد للغاية .-.-"

هتف اللواء عبد الرحمن: كائنات تماثل البشر... إذن لا بد من وجود أطماع وصراعات وحماقات... ومن ثم لا مفر في النهاية من قيام حروب... وحروب لا نهاية لها... حتى تأتي الحرب الأخيرة... النووية... المفنية أو شيء من هذا القبيل هو الذي نشب بعنف واجتاح تدميره وتخريبه الكوكب كله... فأدى إلى تفجره وتفتيت كتلته...

تتالت كلمات مؤكدة... **"أسمعك .- وأفهمك .- إنه عين ما رجحه علماؤنا.-.-"**

وساد صمت متوتر والكل يجري حساباته ويتفحص افتراضاته المخيفة الساكنة عمق مخه ولا يجرؤ على الإفصاح بالنتيجة التي يتوصل إليها... حتى استطرد الكائن كلامه من جديد...

"ثم حدث وأطلقتم .- من صحرائكم .- من قاعدتكم المصرية التي

نحن بها الآن .- مركبة كونية قوية الدفع الصاروخي .- من البعيدة المدى وتخصص لفحص الكواكب البعيدة عن كوكبكم كالمريخ وقمريه .- وكان هدف المركبة فحص المريخ وقمريه .- تمهيدًا للنزول عليهم .- الواحد تلو الآخر .-.-"

ورفع الكائن الجرثومي وجهه المسطح. مغيظًا على ما يبدو، وزعق في أسىً ولوعة بالغة...

"وبدلا من العبور .- على البعد .- بدلا من اتباع مسارات مركباتكم في كل رحلاتها .- قامت المركبة الأخيرة .- الزاعقة الألوان الصارخة الاندفاع بالدخول مباشرة إلى جو المريخ واختراق سماء قمريه .- وشمل الاجتياح بالذات نطاق القمر فوبوس .- في دوران حاد فوق نصفه الغربي .- بغرض تصويره وأخذ عينات غبار منه .- وإجراء فحوص إشعاعية متعددة لتوأمه .-.-"

سجل الدكتور عماد ملحوظة هامة: ما أطلق كان المركبة الفضائية المصرية، قبل الأخيرة... حاملة الرقم ٢٠٩...

وبانت كلمات...

"لتكن .- المركبة ذات أي رقم .- لتكن الأخيرة أو التي قبلها أو قبل قبلها المهم .- أن ما أطلقتموه قد تسبب مروره في حدوث .- الكارثة .-.- فأثناء اختراقه المنطقة .- بالقرب من حافة مجرتنا الخارجية .- من جهة لسانها الثامن اللولبي .- عبر زمن ثقيل .- تمزق له الكون .- وانشق من أجله الليل .- وانسدلت على أثره السماء بالعويل .- فجأة .-.-.- مست مركبتكم الفضائية طرف مجرتنا الخارجية .- فأحدثت اضطرابًا كونيًا دمرت خلاله عشرات الكواكب .- وانخلع وتفتت ربع المجرة .- نهائيًا .-"

في ثنايا وحدة العرض الرئيسية للعقل الإلكتروني احتبست

الكلمات، خرست كلية، وعلى شاشة المجهر المقوسة لمحوه ينهار تمامًا بدا بيماخور كما لو أنه ازداد ضآلة وانكماشًا. كما لو أن تكوينه. مادته، وهنت وهشت، ثم شفت، وراحت تنطوي على نفسها كورقة تحترق...

في حين ساد المراقبين الثلاثة صمت عميق ممتد كصمت الأزل... ورغم عدم اقتناع أي منهم بهذا المخلوق البعيد... في غياهب حجمه الجرثومي... إلا أنهم أحسوا إشفاقًا حقيقيًا عليه... وعلى قومه...

وأراد اللواء عبد الرحمن أن يواسي الكائن الجرثومي وأن يبصره بحقيقة الموقف، فجرت أصابعه على أزراره...

"بيماخور... إنني حقيقة أتألم بشدة لألمك... لكن أرجوك ألا تسرف في حقدك... فأنى لنا أن ندرك أن مجرة على هذه النوعية الغامضة تقبع إلى جوار قمر المريخ أو بداخله... في هذا الموقع أو ذاك طالما هي مجرة صغيرة للغاية... محدودة الأنحاء خافتة الضياء... بل صدقنا... حين نؤكد أنها أول مرة في تاريخنا نسمع ونعي عن مجرة... كما تصورها... لا تزيد عن حجم مدينة كبرى من مدننا"...

استطالت عنق الكائن وعاد يتمالك نفسه، لتتالى كلماته الغضبى...

"صغر المجرة .- وضعف أضوائها .- لا يمنع تعرفكم عليها وعلى وحداتها .- إشعاعيًا .-.-.- نحن تركنا الإبصار بالمناظير .- اعتمدنا كلية ومنذ القدم .- على العقول التحليلية .- وما يشابهها من آلات الرصد .- فتعرفنا على مكونات السماء ومكنوناتها .- وخفاياها .- بجلاء .-.- الآلات هي بصرنا الحقيقي .- في عمق الكون .- وأبعاده السحيقة .-.-"

واندفع اللواء القائد يسجل كلمات متحمسة يعبر عنها: ونحن لـديـنا ليصارنا الكوني، لدينا العقل الإلكتروني الأعظم، وآذانـه الليزريـة... لكن... لكن وحدة العرض المرئية حملت ردًا مقتضبًا، باردًا...

"تعرفه .-.- مقره بصحراء الفيوم .-.- إنه هنك منذ نصف قرن .-.-"

عندئذ بدا الإصرار واضحًا في الكلمات التي يرسـلها الـدكتور عماد. "إذن... علماؤكم يعرفون... وأنت تعرف أيضًـا أن العقـل الإلكتروني الأعظم لم يحذرنا من أية مخاطر فلكية من أي نـوع... ولم يشر علينا ولا غيره بإجراء محدد نتبعه على الإطلاق"...

"بل حذركم .- وأشار بتغيير مسـار الرحلـة الكونيـة .- ٢٠٩ هذه.- لكن خبراءكم .- لم يفهموا .- ولم يدققوا .- لقد استهنتم بالتحذيرات .-.-"

أحس الدكتور خميس أن صبره قد طال أكثر من اللازم، فلديـه أسئلة أهم وأوقع، أسئلة في الصميم؛ لذلك أطلق لأصابعه العنان تكاد تخلع الأزرار بسطح الآلة المستكينة قبالة الدكتور عماد...

"لم نعرف بعد الغرض من مقدمك وزملائك الثلاثة الآخرين... إلى كوكبنا؟ هل جئتم للانتقام؟".

انفلت رد الكائن وتتالت كلماته...

"أنا عضو .- فرد .- عادي .- كافة الأوامـر والتعليمـات لـدى رئيسنا دمياي .-.-"

"وأين هم زملاؤك الثلاثة الآخرون..؟ أين ذهبوا واختفوا..؟ بل كيف اختفوا؟"

اضطربت حركة الكائن رغم ضعفها... وبطؤ ظهور الكلمـات الصادرة عنه... بدا وكأنه يخفي سرًا يشينه...

"أنى لي أن أعرف .- لا علم لي .- لا علم لـي بـالمرة .- أنـا

وازدادت الأسئلة وتزاحمت، اشتعلت بها وحدة العرض المرئية بالعقل الإلكتروني، غير أن الكائن الجرثومي أبدًا لم يكف عن الإجابة، حتى حين اعتراه الوهن والبطء. وامتدت فترات تفكيره شاهدوه يثني ذراعه اليسرى. وضع كفه على منطقة وسطه فإذا بضغطه على حزامه يتألق كل جسده بنور خافت مخضر. وحين سألوه عما يفعل أعلن "عن (تزوده بشحنة من الطاقة). ولما ألحوا في معرفة نوع الطاقة جاءهم رده شاذًا مذهلا... فإن (غذاء الكائنات من بني جنسه هو ما ينتج عن تفتيت الأنوية من إشعاعات... مثل جاما. وألفا وبيتا... بعد ترويضها لتصبح عناصر أساسية في هذا الغذاء... وأن الأمر يطول شرحه" وفي نهاية وجبة الإشعاع انطفأ النور الخافت المخضر. ليرى الكائن ينقلب معافىً حاضر المظهر كما بدا في أول اللقاء.

وظل الكائن الجرثومي يجيب على أسئلتهم الواحد تلو الآخر حتى تعب الرجال وانحنت أبدانهم إعياء لكن بعد أن فازوا بإجابات بيماخور. المخلوق الغامض القادم ورفاقه من قلب المجهول... فقد أخبرهم بمدى الدمار الذي لحق مجرتهم من جراء مرور المركبة الكونية... وما تم في أعقاب ذلك من هجرات جماعية إلى أنحاء المجرة التي لم تصب...

أما كلام الكائن حول غذائه الإشعاعي عندما أعادوا وألحوا في سؤاله فلم يزد عن قوله في اقتضاب وتحد...

"إن مجرة بيبيم بأكملها هي مصدر طبيعي مباشر لهذه الإشعاعات وعليه فنحو ١١ نوعًا طبيعيًا منها هي ما نتغذى عليه تلقائيًا .- فلا يحتاج تناوله لأي تشغيل آلي لإنتاجه عندنا .- إلا أن هذا

يحدث في الأنحاء البعيدة عن نطاق المجرة .- حيث لا نحصل على الإشعاعات إلا بتشغيل آلات ما .-.-"

وكان أكثر ما أوضح عنه الكائن بيماخور إثارة للدهشة. "أن البعثة الانتحارية التي أرسلتها مجرة بيبيم الخارجية، وتضم أفرادًا من قومه، إنما يبلغ عددهم ٤٤ كائنًا جرثوميًا، يقسمون ١١ مجموعة، تضم كل منها أربعة أفراد، وأن الـ٤٤ فردًا اختيروا من ٤٤ كوكبًا مأهولا هي الأكثر سطوة بالمجرة...

وهكذا تيقن الرجال الثلاثة حاملو السر الرهيب للكائن وبعثته الانتحارية، أن هناك أعداء بالغي البأس والخطورة رغم تدني أحجامهم، قد جاءوا من الفضاء من الأقاصي لغرض يعلم الله مداه المهلك المفني...

وعاد الرجال الثلاثة يحشدون رءوسهم بملايين الأسئلة الصعبة، وكلها ألغاز عصية لا حلول لها... ترى فأين ذهب الـ٤٣ كائنًا الآخرون، أين اختفوا وذابوا ذوبانًا... ولماذا فعلوا كلهم ذلك... وما هي قواهم... ما هي أسلحتهم التي سينتقمون بها من المردة الخرافيين سكان الأرض... وهذا البيماخور ما مدى علمه بخططهم وما وسيلتنا لنستخلصها منه برضائه أو عنوة... وأسئلة محمومة مشتعلة عديدة لا نهاية لها...

☆☆☆☆

بمجرد أن غادر الرجال الثلاثة مدخل البناية التي كانت تضمهم استقبلهم ستار من الظلام الحالك، وجدوه يجثم بعرض الصحراء المنفرشة قبالتهم، وحين اقتربوا من الحمالة الصاروخية اجتاحتهم لفحة هواء بارد انتزعت ثلاثتهم من عالم بيماخور الموغل في ضآلته، لتقذف بهم إلى واقعهم البشري البالغ حدًا متناهيًا في ضخامته وعملقته بالقياس للعالم الأول...

قفز العالمان إلى جوف الحمالة وهما ما يزالان يتناقشان بين رافضين ومصدقين لما يتلى عليهم من عجب عجاب يتعذر استيعابه، في حين تركهما اللواء عبد الرحمن مفضلا السير على قدميه إلى وجهة مختلفة قريبة، فقد تولد بداخله موضوع آخر بالغ الخطورة بدوره بل ربما يفوق ما عداه... فإذا اختفى الكائن بيماخور كذلك كيف تكون العاقبة؟ إلا أنه سرعان ما نحى الخاطر فكل من العالمين بالغ اليقظة بالغ الحرص، وبخاصة خميس فإنه لا يغمض له جفن قبل أن يطمئن إلى وجوده بحوزته، وبينما يخطو اللواء بقدميه على حصص الطريق فيمزق تكسيره أو دحرجته سكون الليل، حملته ساقاه إلى مبنى برج اللاسلكي المرئي، ليقابل هناك بوجوم العاملين السهرانين وقد عجزوا حتى الآن عن إعادة الاتصال بالقاهرة، ووجد حجة الرجال نقص قطع الغيار، إلا أنهم ضاعفوا جهودهم ليعوضوا ما لحق الأجهزة من تلف وتخريب وقلة قطع الغيار. وحين غادر اللواء برج اللاسلكي المرئي في نهاية ساعة زمن بالغة الطول فإن أفكاره عادت تلح عليه؛ ترى لم التزمت القاهرة هذا الصمت البالغ حد الإهمال المريب تجاه قاعدتي الجلف الرئيسية والفرعية؟ وطبيعة الاتصال أن يتم يوميًا... وفي حالة انقطاع الاتصال اللاسلكي، فأين هو دور أقمار ومنصات الفضاء؟ وأين هي أطباقنا الطائرة والتي تنطلق بأضعاف سرعة الصوت ويقودها طيارو مصر الأشداء؟

ولاح في النهاية المبنى الذي يقيم اللواء به، وليصل تفكيره لدى نقطة حيوية فهل لا مفر من إرسال بعثة ثانية من رجاله إلى القاهرة مجددًا. لكن كيف وليس لديه أقل وسائل التحرك... ولا حتى حوامة صاروخية واحدة سليمة بمقدورها أن تقطع مائة كيلو متر دون أن تتعطل!!

أخيرًا عبر اللواء عبد الرحمن محمد سور الحديقة ودلف إلـــى بيته. يكاد يقتلع قدميه من الأرض اقتلاعًا...

فإذا كان العالمان قد دلف كل منهما إلى فراشه اللحظة وجـذب عليه دثاره ونام أو هو في طريقه إلى النوم، فإن اللواء وبعـد أن احتوته جدران بيته لا يجد أقل رغبة في النعاس، ولا في تنـاول شيء من الطعام مع مرور كل هذه الساعات دون حتـــى رؤيتـــه، وغسل وجهه ودخل دورة المياه لكنه لم يتجه إلى رف كتبه ليأخذ كتابًا يشغل نفسه به كعادته ليلا خاصة في أعقاب الأيام الشاقة... فقط القى بجسده وهو بملابسه الرسمية على أقرب أريكة طالعته... وغاص في قوامها الحاني المريح ملقيًا بذراعيه إلى جانبيه ومـــادًا ساقيه بطولهما بعد أن تخلص من حذائيه...

وشرد عبد الرحمن بكل ما في رأسه من خلايا إلى بعيد، بعيد، وطال شروده وطال تفكيره وتعمقه وهو لا يدخل الزمن في حسبانه رغمًا عن إمضائه ورفيقيه العالمين أكثر من يوم بطوله وحاشـــدة أحداثه دون راحة أو زاد... حتى غلبه نوع من التوهان بين اليقظة الحالمة وفقدان الحس بما يحيطه...

لكن بغتة. مزقت الصمت والحلم وأطبقت على صـــدره موســـيقى جرس الباب الخارجي، وكأنها لحن شيطاني يشده في غلظة إلى واقعه.

هب اللواء عبد الرحمن من وسط الأريكة آخـــذًا معـــه قلقـــه وأساه... عبر الطرقة مترنحًا... ثم فتح الباب وهو في قمة تحفزه واستعداده لمواصلة النضال...

وسرعان ما أخبره نفر من ضباطه عما وجدوه... وكان آخـــر ما يتوقع سماعه وإن انتظره بفارغ صبر، لقد عثر حراس القاعدة على رجال أربعة وفتاة قد أقبلوا سيرًا على الأقـــدام مـــن اتجـــاه الشمال، وقد بلغ بهم الإعياء منتهاه. ولما استفسر اللـــواء عمـــن

يكونون أخبره الضابط حمزة بأنهم من رجال الطيران والفضاء المصريين، وأن أكبرهم رتبة عقيد يدعى جوهر يسري.

واستقبلهم اللواء جميعًا مرحبًا بحرارة؛ ليعلم من أفواههم وهم يتناولون العشاء ويتناوله معهم... بالكارثة التي حلت بالقاعدة الفرعية، ومدى الدمار والفوضى التي حاقت بكل شبر فيها. وعلم بمقتل أفرادها جميعًا ومن بينهم رجاله الثمانية السابق إرسالهم لطلب النجدة...

وأسقط في يد قائد القاعدة ورئيسها اللواء عبد الرحمن محمد، المشهود له بالحنكة والصرامة والخبرة العالية، فأي طريق مسدود أو كأنه ثقب أسود مرعب يقفون على حافته... الآن... وبلا عودة... وأي منفذ للخلاص... ولو ضئيل... تائه... بقي ولم يروه بعد؟

☆☆☆☆



القسم الثالث

"المواجهة الشرسة"

[٩]

لم يزد عدد الجلوس في الحجرة عالية السقف متباعدة الجدران والقليلة الأثاث، عن ثمانية أشخاص من القادة والخبراء، نصفهم من الشباب، وقد جلسوا يواجهون مكتبًا عريضًا، ونافذة مستطيلة تمتد فيما وراء المكتب بطول سبعة أمتار كاشفة عن برج المطار المحدود والصحراء المنفرشة خلفه مباشرة، أما العالمان الدكتور خميس نور الدين والدكتور عماد علام فقد جلسا إلى المكتب في حين تركا المقعد الثالث بينهما شاغرًا.

وفيما وراء النافذة المستطيلة بدت المنطقة تسبح في ضوء الشمس القوي معلنة عن بدء يوم حار على عكس داخل الحجرة المكيف ببرودته المحتملة.

وتتابعت الدقائق والجلوس واجمون شبه مجمدين، وقد ران عليهم صمت ثقيل وقلق مدمر... ودقت ساعة الحائط في الصدارة سبع دقات مزقت السكون... لينفتح الباب عن قامة اللواء عبدالرحمن محمد الفارعة وقد حمل ملفًا ضخمًا وعددًا من الأوراق، وتوجه مباشرة إلى المقعد الخالي خلف المكتب ليجلس عليه وسط العالمين بعصبية...

رفع اللواء رأسه يحيي الكل، ثم أدارها ليتطلع إليهم واحدًا واحدًا ببطء... وعندئذ لاحظوا احمرار عينيه وانتكاش شعره وذلك الإرهاق والوهن الذي يغطي وجهه فيحيله مصفرًا باهتًا.

تماسك اللواء عبد الرحمن وهتف في شموخ عبر لاقط الكلام:

- اجتماعنا اليوم جاء على عجل كما تعرفون، لنبحث سويًا عن مخرج لمحنتنا... ومع علمكم بأغلب التفاصيل إلا أنني سألخص الموقف في نقاط محددة... البداية كانت مع المفاجأة الكاملة والمذهلة... حيث عثر الدكتور خميس أثناء فحصه لجزء من العينة الفضائية المجلوبة من غبار جو قمر المريخ فوبوس... على كائنات جرثومية في أحجامها، وتشابه إنسان الأرض في أشكالها وحركاتها... وكان المكتشف منها تحت عدسات المجهر أربعة أحدهما وجد مريضًا... وخلال المراقبة الدقيقة التي تلت ذلك وشارك فيها الدكتور عماد تبين للعالمين احتمال أن تكون الكائنات ذكية وبالتالي قادرة على التفاهم معنا... ثم حدث أن اختفى حارس المعمل واختفت معه الكائنات الثلاثة السليمة وبقي في حوزتنا رابعهم المريض... فكثفنا حمايتنا عليه وحرصنا على ضرورة الاحتفاظ به معنا... وفي ذات الوقت نقله العالمان إلى وحدة الفحص بالمجهر الإلكتروني... ليدخل العالمان في دوامة من المحاولات المضنية، شاركت في بعضها، لتفسير حركات وتصرفات هذا الكائن الرابع والذي شفي الآن... لكن الأحداث المؤسفة ظلت تتوالى: فاختفت بقية أجزاء العينة الفضائية... واختفى زملاء عاملون مهمون بالقاعدة... كما حدث تدمير لبعض وسائل الاتصال والنقل والحركة... بل وقتل بعض جنودنا... وبمعنى أدق خربت وعطلت الأجزاء الحيوية لدينا... وبذا انتهى اتصال القاعدة بالقاهرة...

توقف اللواء عبد الرحمن يلتقط أنفاسه ويقلب في الأوراق بين يديه:

- ومرت أيام خمسة سحقنا فيها هنا... في القاعدة الأم التي

أصبحت معزولة عن العالم... سحقنا رعبًا وتوجسًا من خطر مجهول يتربص بنا... وبأسرنا... وأطفالنا... بينما تحدث في ذات الوقت معجزة علمية رهيبة أمام أعيننا باتصال الكائن الجرثومي ذاته ليكلمنا... ويتحاور معنا... كيف؟؟. أقول لكم... بواسطة جهاز يحمله هو... جهاز أعجز عن وصفه لتدني صغره... لكن لا أملك إلا الاعتراف بمبلغ جبروته بعد أن أوصل لمسامعنا مفهوم لغة الكائن... بتحويلها لكلمات مقروءة على شاشة العقل الإلكتروني بالقاعدة... وبالطبع لم نعرف كيف تم ذلك... وتوقف اللواء ليضيف وهو يشير إلى الدكتور خميس: والدكتور قادر أن يبين لنا فحوى كلمات الكائن...

تناول الدكتور خميس لاقط الكلام وأدناه من فمه ليقول عبره في هدوء غريب عليه...

- باختصار ودون تفاصيل... فقد أعلن الكائن الذي سمي نفسه بيماخور... أن فريق كائناتهم الجرثومي يضم ٤٤ كائنًا قد اندسوا بطريقتهم إلى العينة الفضائية... ليأتوا إلى كوكبنا ثم القاعدة للانتقام من الدولة التي أرسلت إلى مجرتهم ببييم المركبة الكونية ٢٠٩... والتي تسبب مرورها... ربما العشوائي في تدمير نحو ربع المجرة الصغيرة... وبالطبع... فالمركبة الفضائية ٢٠٩ هي مصرية وإطلاقها تم من قاعدة الجلف الفرعية... وتوقف الدكتور خميس ليفكر برهة ثم تابع وهو ينقر بأصبعه على حافة المكتب... وطبيعي فالانتقام موجه لمصر... وينصب تحديدًا على قاعدتنا هذه بفرعيها... وبالفعل فقد رأينا بداية انتقامهم في الأحداث المؤسفة... البالغة الوطأة والألم... وقد تتالت منذ أيام جد قريبة وما نزال نعيشها...

وعاد اللواء عبد الرحمن يمسك زمام لاقط الكلام...

- واضح أن ما صرح به الكائن بيماخور إنما هو أقل القليل مما يعرف عن خطط زملائه... من أفراد الفرقة الانتحارية البيبيمية القادمة للانتقام... فهل اشتركتم حضراتكم معي بعرض آرائكم وتصوراتكم عما يتوقع حدوثه من كوارث جديدة لا قدر الله... وما يمكن أن نتخذه في المقابل من إجراءات وقائية لإفشالها... أو على الأقل للتخفيف من وطأتها...؟

وسارع الدكتور عماد برفع يده... ورفعت إلى جوار يده أيد أخرى متحفزة... وأعطى اللواء الإذن للدكتور أولا... والذي صلب رأسه وركز بصره ليعلن في نبرة جادة...

- في تقديري أن كافة الأمور ما تزال غامضة... ومنذرة... من حولنا... أجل لا شيء ملموس ومؤكد يمكننا أن نبني عليه دفاعًا... أو هجومًا مضادًا... لا... لا شيء واضح على أي كيفية أو تقدير جزافي أو مجرد إشارة!

- وتساءل اللواء في ضيق: والحل...؟

- الحل المتاح الآن... هو مزيد من الجلوس إلى الكائن بيماخور... لمعرفة تفاصيل أكثر لما يدبرون...

اندفع الدكتور خميس مقاطعًا: وإذا فشلنا في استدراجه؟

أصر الدكتور عماد: بل سننجح بإذن الله... ظني أنهم مسالمون لا يعرفون التقاتل وغالبًا لم تنشب لديهم حروب وبيماخور ذاته أعلن ذلك... أجل هم في اعتقادي ليسوا بعدوانيين إطلاقًا... وما تكونت بعثتهم هذه وما تكبدت مشقة المجيء إلا كرد فعل انفعالي لما ظنوه عدوانًا متعمدًا من جانبنا...

وتتالت آراء أخرى متعددة راح أغلبها يؤيد وجهة نظر الدكتور

عماد بينما يقترب الاجتماع من ختامه حين وقف العقيد رائد الفضاء المصري الأول جوهر يسري... ليتمتم في حيرة واضحة وقد قطب جبينه:

- لقد استعرضتم يا سيدي اللواء كافة الأمور الجوهرية والحيوية... عدا أمرًا واحدًا... لم يأت ذكره رغم خطورته على البلاد... وتهديده المباشر على القاعدة بشطريها؟

بسط اللواء عبد الرحمن قسمات وجهه وأرخى عينيه: تقصد يا بطل القنابل النووية الثلاث! الصغيرة المحدودة!!

أحنى العقيد جوهر رأسه مؤمنًا: تمامًا... اثنتان بالقاعدة الفرعية والثالثة... موجودة... هنا...

عندئذ لم يملك ضابط كبير الرتبة من إطلاق صيحة خافتة: ولكن قنابلنا هذه مؤمنة كلية...

وأضاف الدكتور عماد: إن قنابلنا النووية... في كلا فرعي القاعدة... إنما هي آمنة حيث ترقد في أقبية سرية شيدت عميقًا في باطن الأرض... وأبوابها يستحيل اقتحامها... كما أرجح استحالة وصول الكائنات لسرها...

إلا أن العقيد الشاب همس مصرًا: ولم لا نعيد الكشف عليها زيادة في الحيطة والاطمئنان؟!

ووقف اللواء عبد الرحمن بدوره وقال مهدئًا الموقف المتوتر...

- سأقوم أولا بالمرور على مكمن القنبلة... للتأكد بنفسي من بقاء سريتها وضمان أمان موقعها... فبالطبع الحرص واجب... وإذا أردت فلترافقني يا جوهر...

أسرع اللواء عبد الرحمن يرافقه العقيد جوهر إلى اتجاه يجاور

التلة الشمالية من طرفها الغربي، ووسط رهط من الجند أخذ الكل يحثون الخطى مشيًا بصعوبة على الرمال في اتجاه غايتهم... في حين انفض بقية المجتمعين. واستقل العالمان كذلك حمالة الدكتور خميس الصاروخية لينطلقا إلى اتجاه مخالف... بينما يطل قرص الشمس مرسلا أشعته الضاوية الساخنة مباشرة على الجميع... وقد اشتد لظاها عن الأيام السابقة...

☆☆☆☆

تتابعت المرئيات عبر الطريق الممهد خلال الصحراء. وخلال أجزاء من صخور التلة على الجانبين حين يشقها الطريق. بينما الحمالة الصاروخية تتقدم يقودها الدكتور عماد ويجاوره الدكتور خميس وقد شغلت رأسيهما حشود من الرؤى الغامضة والصراعات المفزعة، وبينما الحمالة تلتف مع المنحنى الصخري التفت الدكتور عماد نحو زميله وطرح عليه سؤالا عابرًا...

- قل لي يا دكتور... هل قابلت الطبيبة نور سلامة قريبًا؟

- لم يحدث... فيم سؤالك؟

مد الدكتور عماد عنقه يرقب الطريق بنظرة غريبة... وكأنه يستدعي مشهدًا بعينه من الأعماق البعيدة:

- لقد شاهدتها مصادفة... وهي تستحث الخطى على مبعدة... وخيل إلي وقتها أنها لم تكن في حالة طبيعية!

- كيف!!

- كانت تخطو في شبه عدو وهي تتلفت تباعًا يمنة ويسارًا... وكأن هناك من يطاردها...

- وهل كان أحد يتبعها بالفعل؟

أجاب الدكتور عماد في يقين: لم أر مخلوقًا يسير في أعقابها... ولا على مبعدة منها...

قلب الدكتور خميس شفتيه: وما الذي يسبب ذعرها... مع أنها إنسانة هادئة... وحالمة؟

- الأغرب من ذلك أنني ناديت عليها... علّي أعرف ماذا ألم بها ولأوصلها إلى مقصدها... فتوقفت...

ووصلت الحمالة بالعالمين حينئذ إلى مشارف المسكن ١٤. وأبطل الدكتور عماد تشغيل الحمالة في حين وضع الدكتور خميس كفه الثقيلة على كتف صاحبه يسأله.

- وماذا قالت لك الطبيبة... أو قلت لها؟

- لا... لم يحدث لقاء بالمرة...فبمجرد أن رأت وجهي مطلا من الحمالة حتى استدارت تعدو إلى أن اختفت... وكأنها رأت فيّ شيطانًا...

فكر الدكتور خميس مليًا ثم هتف: آه... لقد توصلت لما كان غائبًا... لا بد أن تكون هذه المرأة قد حقنت ولحتلت بالكائنات... وإنهم هم من ذعروا... لا هي... آه، لذلك هي غائبة مختفية هذه الأيام؟

توقف الدكتور عماد عن مغادرة الحمالة... ووضع يده على خده... كيف فاته الأمر قبلُ؟؟

- بالفعل... الصواب ما قلته... خاصة والطبيبة كانت في طريقها إلى المستشفى...

وأغلق الدكتور خميس بابه في الحال... واستدار ليدفع الدكتور عماد بيسراه تجاه عجلة القيادة؟

- ماذا تنتظر يا رجل... هيا بنا نتجه فورًا إلى المستشفى... ربما

استطعنا إنقاذها فمعي زجاجة مخدر... شمة منه تخدرها وتخدر الكائنات المحتلة رأسها...

واستدارت الحمالة وخلال دقائق وصل العالمان إلى المبنى المنشود، ليندفعا إلى الباب الضخم العريض، وينفذا لداخله وقت مغادرة عدد من أطبائه وممرضيه مع حلول توقيت الثالثة عصرًا.

لم يجد العالمان الطبيبة نور سلامة في حجرتها، ولا في حجرات الممر الخاص بالأطباء، فهل توجهت للكشف على أحد المرضى؟ وراح العالمان يطرقان حجرات الممر التالي، والذي بعده، حتى أطل الدكتور خميس من فرجة باب حجرة قصية، فإذا به يدفع الباب بقدمه ويمرق منه ليختفي وراءه فلما تنبه الدكتور عماد وتبع خميس رآه ينقض على ممرض قصير القامة كان يلصق محقنه بعنق مريض طريح الفراش... والتفت الممرض فزعًا ليرى الدكتور خميس يهاجمه، عندئذ ألقى المحقن وانفلت من يدي خميس قاصدًا الهرب للخارج، غير أن حضن الدكتور عماد تلقفه وذراعيه القويتين أحاطتا به وقيدتاه... بينما يزعق الدكتور خميس في عصبية وانفعال شديدين...

- لا تتركه... فهو بالقطع حامل لكائنات جرثومية تتحكم فيه وتقوده... لقد ضبطته وهو يهم بحقن مريض... لا بد بعدد من الكائنات ليسيطروا عليه بدوره... فلا تتركه... حتى نعتقله ونتفحصه...

لكن الممرض القصير أصفر الوجه محمر القفا استطاع في حركة مباغتة أن يتخلص من قبضة الدكتور عماد، غير أنه بدلا من شق طريقه هاربًا للخارج، وجداه يتقهقر وهو يرتجف وفمه مفغور عن آخره ولعابه يتساقط، وظل يتراجع إلى أن التصق بالحائط المقابل على بعد أمتار.

ثم فجأة رفع الممرض ذراعيه وأمسك برأسه يهزها بعنف وجنون وهو يتأوه في ألم واضح... ثم. ثم... إذا برأسه ينفجر... يتفتت ويتناثر شظايا... في حين اهتز المكان بعنف وسقط العالمان غائبين عن الوعي، وخلال ساعة زمن عرف الكل بتفجر رأس الممرض وأخذ جثمانه لتشريحه ليزداد توجسهم... ثم لحقتهم مع انحدار الشمس واقتراب المساء أخبار أكثر قتامة فعرفوا أن قبو القنبلة الذرية وجد مفتوحًا... خاويًا، فاغتموا وازداد ضياعهم...

☆☆☆☆

أزت أجزاء المجهر العملاق وشملته رجفة واهنة في المبدأ، أخذت تتزايد إلى أن أضيئت شاشته بتدرجات اللون الفيروزي، وتدفقت مجددًا طاقة خفية تغذو ثنايا العقل الرابض بقوائمه الضخمة في الحجرة المجاورة إلى أن أعلنت بؤرة فيه أخذه وضع التشغيل.

على الفور اندفعت أصابع الدكتور خميس تضغط على الأزرار مستدعية الكائن الجرثومي من أعماق التلاشي الذي يخفيه... وزاد تألق الشاشة البارزة... وظهر بيماخور... بدا واقفًا على قدميه، رشيقًا متناسق القامة، مقبول الوجه رغم تسطحه، وقد ضوى رداؤه اللاصق بجسده في ومضات خاطفة زادت في انسجام تفاصيل بدنه... وتقدم الكائن خطوتين إلى الأمام، ليضع كلا كفيه على جانبي رأسه وينحني في مواجهتهما باحترام مبالغ فيه. وليعرفا لأول مرة أنه... يحييهما... بالأسلوب المألوف لدى قومه على كواكب مجرتهم.

حياه العالمان بدورهما في اقتضاب وأدب، بينما تتالت كلمات الكائن التي ينتظران رؤيتها، وقورة متزنة فاستبشرا خيرًا...

"طال غيابكم عني .- أين أنتم .- أفتقدكم كلكم .- كلكم .-.- إن بقائي وحيدًا في عزلتي هنا .- ولمدد زمنية طويلة .- مملـــة .- وضع يحبط غيري .- لكني لا أبتئس له .- بل أستغله .-.- فهو زمن يتيح لي قدح الفكر وتفحص المواقف والتصرفات جيـــدًا .- وهذا ما فعلته في تبصر وجدية مــؤخرًا .- وصـــدقوني .- لقــد تقبلت عذركم .- فكلما قلبت فحواه وتفحصت احتمالاتـــه أرانـــي أزداد اقتناعًا به .- أجل لم لا تكون تحذيراتنا قد تبددت ولم تصلكم إطلاقًا .-. لضعف موجات بثها .- أو لتأثير أشعة شمسكم عليهـــا .-.- أو تعرضها لعواصف مغناطيسية أو ما شابه؟"

وكون الدكتور عماد في عجلة ردًا منطقيًا بالضغط على أزرار العقل... "تمامًا... لم تصلنا عن أي طريق كوني تحذيرات من أي نوع... لا منكم ولا من غيركم... وإلا فأي مصلحة نجنيها بتحطيم جزء من مجرتكم ولا حتى كوكب واحد فيها!!!!"

وعادت كلمات الكائن تترى...

"فهل ظلمناكم حقًا؟ بفرض أن لا علم ولا معرفة مسبقة لديكم مـــن أي مصدر... ولا من علمائكم .- بوجودنا من أساسه .-.- ولقد ظللت ليلة بطولها أتساءل... ولم لا تكونون أيضًا قـــد غفلـــتم .- بالفعل .- عن تبين نوعية المجرات الكونية متناهية الصـــغر فـــي حجم مجرتنا .- وحال مناظير الرصد الفلكي عندكم على كل هـــذا القصور والتخلف."

أرسل الدكتور خميس كلماته حانية مركزة...

"عال... وقد تفهمتنا الآن أيها المنصف بيماخور... فلمـــاذا لا نبدأ معًا... في إنهاء هذه **المهزلة** التي أطلقتم عليها... **الانتقام؟"**

تساءلت كلمات الكائن بيماخور "**كيف.**-.-.-.-"

"بأن تتصل بأفراد بعثتكم الانتحارية... وتخطرهم بما سمعته منا... وما توصلت إليه بتفكيرك، وتطلب منهم ضرورة إيقاف كافة ما سبق وخططتموه للانتقام... ولا داعي لمزيد من الخسائر والضحايا للطرفين..."

ويواصل الكائن معترضًا... "**غير ممكن .-.- لن يستجيب أحد من قومي لأي مساس بالخطة.**"

ويضغط الدكتور خميس بأصابعه الأزرار عنيفًا... "اتبع يا بيماخور صوت العقل... فانتقامكم، لو تم... لن يفيدكم في شيء وأنتم على كل هذا البعد السحيق... وهل يعيد الانتقام من ماتوا إلى الحياة؟ أو هل يعيد ما دمر وتلاشى من مدن وقرى إلى سابق عهدها؟.. أبدًا... في الوقت الذي علمت فيه أيها الكائن المنصف وبالبراهين أن لا ذنب لمركبتنا الكونية وإنما هي الصدفة وحدها..."

وتبهت كلمات الكائن... "**صعب .- مستحيل .- فحتى مع قناعتي بما تقول .- فأنى للآخرين .- أنى لهم بالاقتناع .- بل أنى لي بهم وبأماكنهم الآن .- لأقنعهم .-.-**"

وينفعل الدكتور عماد بدوره... "لكنك كنت تتباهى منذ فترة وجيزة بأنكم قوم مسالمون متحضرون عنا نحن البشر... وأنكم لستم عدوانيين مثلنا؟"

... "**لا لا.-.- كيف يمكنني وقفهم عن تنفيذ ما جاءوا من أجله ؟-.-.**"

ويشعر الدكتور خميس أنه لم يعد قادرًا على الاحتمال فانفجر يعبر بصرامة عن طريق الأزرار...

"اسمع... لقد حان الوقت لمصارحتك بأننـا علـى علـم تـام بحقيقتك... فأنت القائد... أنت يا بيماخور رئيس البعثة الانتحارية البيبيمية القادمة حتى هنا للانتقام..."

اضطربت كلمات الكائن... **"تظنني القائد... ولي سطوة عليهم .- هذا غير حقيقي، هذا وهم .-"**

وزاد ضغط أصابع الدكتور خميس... "بـل أنـت كبيـرهم... والآمر الناهي بينهم..."

... "لكن... كما ترى فأنا وحدي هنـا... أنـا رهـين أجهـزتكم وأيديكم... بينما رفاقي .- هناك لا أدري أين ؟.-.-."

سخرت كلمات الدكتور خميس... "بـل الحقيقـة أنـك القائـد... وتعليماتك وتوجيهاتك تصلهم أولا بأول عبر جهاز إرسالك... وتعرف أين كل منهم اللحظة وما الذي يفعله الآن وما سيفعله غدًا..."

ولاحقت كلمات الدكتور عماد ما سجله خميس... "صـدقنا يـا بيماخور... لقد التزم الدكتور بمراقبتك ليلا نهارًا... فمنذ لحظـة اكتشافك ووجودك بيننا وهو يراقبك بدقة وصبر... ويتتبع خطاك كظلك... وبخاصة لدى معظم اتصالاتك بمرءوسيك والتي طالمـا احتددت فيها عليهم...".

وفي أعقاب دقائق من توقف كلمات الكائن وامتداد صمته عبر الأجهزة وإلى خارجها حيث يجلس العالمان... عادت كلمات الكائن تتهادى من جديد... لكن واهنة... ضعيفة... خجلة...

"ما توصلتم إليه .- هو... الحقيقة... أنا بيمـاخور قائـد البعثـة حقًا.- ولولا مرضي لشاركت بواحدة من فرقنا الإحدى عشـرة... المهم الآن أني مقتنع بوجهة نظركم. لكن يهمني أن أتأكـد مـن

الضمانات التي سنحصل عليها متى وصلنا إلى اتفاق..."

على أن الدكتور عماد سجل بأصبعه سؤالا ملحّا... "لا كلام في أي موضوع قبل أن تخبرنا بمصير القنابل الذرية الثلاثة... التي أخفيتموها؟"

أجاب الكائن بيماخور...

"لقد اقتادت كائناتنا أربعة رجال من خبراء قاعدتكم بعد السيطرة على أمخاخهم .-.- لنقل القنابل إلى أماكن خفية .- لاستخدامها بعدئذ ضدكم."

كاد الدكتور خميس يحطم أي شيء بقبضته... "آه آه... تستخدمونها أين؟"

... "قنبلتان سيفجر كل منها بأحد فرعي القاعدة... والثالثة تفجر بمنطقة الفيوم حيث يستقر الصرح الشاهق للعقل المركزي... والذي تستعينون بتوجيهاته... لمركباتكم الفضائية خلال انطلاقها عبر دروب الكون .-.-."

ونضب الكلام لدى العالمين...

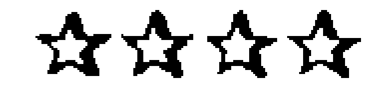
وصمتت أزات الأجهزة الجبارة...

وكمن الكائن بيماخور في موقعه ليبدو كتمثال منحوت من الصخر بينما راحت الدقائق تمر وتتجمع وراء غيرها من الدقائق حتى ليصعب عدها...

ثم عادت الحركة، وتعالى الضجيج مرة أخرى، واشتدت حرارة الصراع من جديد، عبر مقترحات ومساومات، وأخذ وعطاء، ومواقف عدت مكاسب ضخمة وأخرى رؤي فيها تنازلات سخيفة لا بد منها، وثالثة اعتبرت شروطًا بالغة الدلالة والحيوية... ليتم

الاتفاق في النهاية بين العالمين الأرضيين والكائن الزائر الغريب الرابض في عمق الكلمات وعمق هامش الوجود... على ترك التوصل للقرار الحاسم حتى صباح الغد دون تحديد ساعة معينة...

فهل قامر العالمان بترك الأمور في يد كائن غريب وافد من التيه الذي يجهله أهل الأرض... وإذا كان الغدر صفة بارزة للإنسان فما احتمال أن يغدر بيماخور بهما وبرجال ونساء وأطفال القاعدة بل وبسكان الكوكب أجمع... أم أنه كائن مختلف في كل الصفات وأولها الغدر؟



[١٠]

كانت السماء تمتلئ بأشرطة رمادية طويلة يمتد بعضها فوق بعض وكأنها لعروق من رخام بالغ النقاء وقد صبغت خلفياتها بأشعة الشمس الصاعدة لدى الأفق، فبدت وكأن الرخام أضيء من داخله وتألقت سطوحه... وتحت المنظر الساحر أخذت الحمالة الصاروخية تشق طريقها مجتازة أولى ساعات الصباح، بينما قائدها وصاحباه يطويهم بداخلها حديث مصيري يلهيهم عما تعرضه الطبيعة حولهم من ألوان وتكوينات وخطوط انسيابية فاقت كل جمال...

كان العقيد جوهر يسري وقد جاوره الدكتور عماد وجلس خلفًا الدكتور خميس يقود الحمالة في آلية وهو يوالي اعتذاره للعالمين في صوت خافت...

- أكرر أسفي على استدعائكما مبكرًا هكذا... خاصة وأنا السبب... بعد أن اكتشفت في حوزتي صندوقًا من وقود البوتين المجفف... وبذا يمكن تشغيل المروحية القديمة الموجودة بمخزن القاعدة.
علق الدكتور عماد: لا بد وأن اللواء أسعده الخبر...

تابع جوهر: أسعده للغاية... والنتيجة طلبه الملح مني أن أسارع بإحضاركما إليه... مبكرًا...

وجاء صوت الدكتور خميس من الخلف: من خطط اللواء عبد الرحمن... ضرورة التشاور مع القاهرة... وقد انقطع الاتصال

حتى جئت ومساعدوك فعلمنا أخبار العاصمة وأنهم بقوا للآن على جهل بما حدث لدينا!

هز عماد رأسه أسفًا وضيقًا: وأظن اللواء منزعجًا للغاية الآن لاختفاء القنابل النووية... فهي مسئولية بالغة الخطورة على أمننا القومي... بل وعلى المنطقة العربية بأسرها...

وصرح العقيد جوهر وهو يميل يسارًا ويميل معه العالمان لدى اجتياز الحمالة منحنى حادًا...

- بالمناسبة فعبوة الصندوق ستون قرصًا من الوقود... فهل تكفي لبلوغ العاصمة؟

لكن الدكتور خميس مد ذراعه يربت من خلف على كتف العقيد...

- كمية الوقود تكفي نحو ثلاثمائة كيلو مترًا... لكن المروحية ستعثر قبل ذلك على عدد لا بأس به من القواعد العسكرية... وقبلها يوجد حقل للبترول على بعد ٨٦ كيلو مترًا... فمن إحداها نكلم القاهرة... وتوقفت الحمالة في النهاية بالساحة المواجهة للإدارة، وقفز الرجال الثلاثة واندفعوا إلى مكتب اللواء القائد ليجدوه محنيًا على خريطة مفرودة على مكتبه، وقد ازداد الهزال والإرهاق على وجهه، حيوه فرد باقتضاب وهو يشير لهم بالجلوس.

- تفضلا... أعتقد أن جوهر أخطركما بعثوره على كمية من الوقود... وأن مروحية ستنطلق خلال ٤٥ دقيقة لتجد لنا وسيلة اتصال بالمسئولين...

أجاب الدكتور خميس تلقائيًا: لقد أخبرنا وها نحن جئناك على الفور...

- حسن... هذا يختصر وقتنا... والآن... وأشار إلى كومة من

الورق الأبيض موضوعة على حافة المكتب المقابل... فليأخذ كل منكما ورقة أو أكثر... عظيم... أولا مطلوب منك يا دكتور خميس أن تسجل لنا وبمنتهى الدقة... كافة ما تتذكره من معلومات تخص الكائن الجرثومي وقومه منذ بدء رؤياك له وإلى أن تفاهمت وإياه... ذاكرًا تفاصيل ما أفصح عنه كتابة كلمة بكلمة... على أن تلحق ذلك كله برأيك العلمي في الموضوع جميعه...

وتوجه الدكتور خميس إلى أقرب مكتب خال وجلس يملأ ورقته في صمت، في حين استطرد اللواء عبد الرحمن بعد أن رشف بقية فنجان قهوته دفعة واحدة.

- وثانيًا مطلوب منك يا دكتور عماد... أن تركز معنا في جانب مختلف... بالذات حول أربع نقاط حساسة... أولا تسجيل تصور لكيفية تدمير مركبتنا الفضائية ٢٠٩ للجزء من مجرتهم كما يزعمون! وكذا كيفية تسلل ثم سيطرة الكائنات على أحد عشر فردًا من الأفراد المهمين بالقاعدة... وأين يحتمل إخفاء كل منهم؟... وكذا مخاوفك وتصوراتك حول كيفية استخدام هؤلاء الكائنات للقنابل الذرية الثلاث...

صمت اللواء لحظة ليطلق آهة عميقة... ثم يتابع: وتبقى النقطة الرابعة وهي مقترحاتك عن إجلاء كافة أفراد القاعدة الرئيسية بعيدًا عن موقعها خشية تفجيرها بواحدة من القنابل الذرية... كيف يتم ذلك سريعًا مع عدم امتلاكنا لأية وسائل للنقل عدا حمالة صاروخية واحدة؟!

تساءل الدكتور عماد: تقصد الإجلاء للاختباء وراء تلة عالية قصية... أو الهبوط في انفلاق صخري بباطن الأرض أو التواري داخل غار بسفح الجبل... أو ما شابه؟

– هو ذلك يا دكتور خاصة وأنت معروف أيضا بارتيادك وتفقدك المناطق الصحراوية حولنا...

عندئذ اتجه الدكتور عماد إلى المكتب وأخذ الأوراق لينـــزوي على نضد مجاور بينما يردد "فهمت... بالطبع سأدلكم على مخبـــأ نمونجي... إنه أحد كهوف إنسان العصر الحجري، المكتشف منذ بضعة أعوام متعمقًا في تلة غطاس على بعد ٣٦ كيلو مترًا شرقي قاعدتنا هذه... والوصول إليه سيرًا قد يستغرق يومًـــا تقريبًـــا... ومرت عشرون دقيقة... ولنتهى الرجال من ملء أوارقهم...

وفي التوقيت المحدد ارتفعت المروحية في الجو آخذة اتجاههـــا شمالا وقد حملت كافة التقارير المعدة بعناية ليقرأهـــا المســـئولون للتحذير وطلب النجدة.

كما تحركت الحمالة الصاروخية تغادر الساحة لتعود بركابهـــا من حيث أتوا... وقد قبع ثلاثتهم صامتين وجلين بداخلها وعقولهم وأفئدتهم منطلقة في اتجاه مختلف يأخذ عكـــس اتجـــاه المروحيـــة المنطلقة في طريق مهمتها الشاقة المصيرية...

وتململ الدكتور خميس وقال في نفاد صبر: لقد تأخرنـــا عـــن لقائنا مع الكائن في وحدة المجهر الإلكتروني...

وشاركه الدكتور عماد قلقه: ترى هل وفق بيماخور في فرض سيطرته على زملائه... وهل نجح في إيقافهم جميعًـــا... أم تـــراه يواجه صعوبات لا ندري كنهها؟

وعاد الدكتور خميس يفرض تشاؤمه: أم تراهم أقنعوه هـــم... بالعكس؟؟... ثم أخذ يتمتم... متحيرًا... لكن لا أظنه يحنث بوعده لنا... في حين قاطعه الدكتور عمـــاد: لا لا... لا أراه مـــن هـــذا النوع... وعاد الثلاثة ينكمشون على أنفسهم ويلـــوذون بصـــمتهم

الخارجي وغليانهم الداخلي...

واجتازت الحمالة النطاق الصخري للتلة واستدارت قاصدة الاتجاه إلى منطقة المعمل والمجهر والعقل الإلكتروني والمكتبة وقاعات البحث الخاصة بغزو الفضاء... عندما انحنى الدكتور خميس يلقي ببصره محملقًا من جانب الحوامة وهو يشير بإصبعه محتدًا إلى ما وراء المعمل...

تعالى صياح الدكتور خميس: هناك... انظر بسرعة يا عماد... إلى ما وراء المعمل... لدى منحنى المستشفى... حدق الدكتور عماد في اتجاه إصبع زميله... هتف مندهشًا: آه... الطبيبة نور سلامة...

في الحال فتح الدكتور خميس باب الحمالة وقفز وهو يحث صاحبه عماد على القفز وراءه بينما جوهر يحاول وقف الحمالة دون أن يدري من هي المرأة التي حدثت بسببها كل هذه الضجة... وكان الدكتور خميس قد هبط وصاحبه وهو يقول له: لحسن الحظ ما تزال زجاجة المخدر بجيبي فهيا نلحق بالطبيبة... لننقذها... شريطة أن نفاجئها دون أن ترانا... أو يرونا محتلو رأسها...

وأخذ العالمان يقتربان في سرعة وهدوء من وراء الطبيبة السائرة في عجلة. وبينما يقتربان أخرج الدكتور خميس زجاجة المخدر وملأ منديله من سائلها وأعادها لجيبه... وخلال دقيقتين أصبحا خلف الطبيبة مباشرة... وأحست المرأة بمن يستحث الخطى العجلة خلفها... فالتفتت... إلا أنها لم تلحق تبين مهاجميها، فقد كتم المنديل باليد الثقيلة التي تحمله على أنفاسها، ليسحبها المخدر عاجلا هي والكائنات بتجويف رأسها... وقبل أن يتبينوا حقيقة ما حدث... إلى عالم أكثر ظلامًا وبرودة ويخلو كلية من الرؤى...

☆☆☆☆

كان مبنى المستشفى يستقر في مرمى البصر على بعد خطوات؛ لذلك لم يجد العالمان حاجة لنقل الطبيبة إلى الحمالة لإيصالها للمبنى القريب، وإنما فضل الاثنان حملها سويًا إلى الباب المواجه، غير أنهما فوجئا بالعقيد جوهر يتقدم في شهامة ليحتضن جسد المرأة ويرفعها بذراعيه القويتين وهو يعلن ببساطة أنه قادر على ذلك دونهما...

وحمل العقيد جوهر الطبيبة وحده بالفعل وعاونه الدكتور خميس في التقاط حقيبتها التي سقطت منها وكذا فردتي حذائها. بينما سارع الدكتور عماد يسبقهما لإخطار نوبتجيي المستشفى عن الحالة المستعجلة القادمة، وهكذا بادر الطبيب الشاب حاتم بفحص زميلته المسجاة دون حراك وقد عرف من العالمين أنها واحدة من ضحايا تسلل الكائنات إلى رأسها والسيطرة عليها... وعلى ضوء خبرة الطبيب الشاب في القضاء سريعًا على الجراثيم المسببة للأمراض الحادة وهذه الكائنات تماثلها، فقد عجل بحقن نور سلامة بجرعة مضاد حيوي مركزة، ثم تركها تكمل نومها القهري بقية اليوم في سكينة وتحت مراقبته وفريق ممرضيه.

وهكذا أسرع العالمان يغادران المستشفى ليذهبا إلى حيث الكائن الجرثومي في انتظارهما تاركين الطبيبة نور سلامة في رعاية زميلها الطبيب الشاب، أما العقيد جوهر فقد أبى أن يتركها حتى تفيق ويطمئن عليها؛ لذلك جلب مقعدًا خفيفًا وضعه لدى قدميها. وجلس عليه ساكنًا مركزًا بصره على وجهها الملائكي يراقبها خلسة في إشفاق وحنان وقد نسي الزمن وتاهت من حوله المرئيات.

وفي خارج المستشفى لم يكن العالمان قد غادراها بعد، فعند تركهما بابها الضخم فوجئ الاثنان بتجمع عدد من ضباط وجند

القاعدة خارجه، بينما استقبلهما لغط وضوضاء يصدر عن هؤلاء. فلما دنوا منهم واختلطا بهم فوجئا بجندي ملقىً صريعًا على الأرض وسرعان ما عرفا من أحدهم وهو الضابط صابر الألفي "بأن القتيل جندي من قوات الدفاع الحدودي عن القاعدة، وأن زميلا جنديًا مثله قد اضطر لإطلاق بندقيته عليه..."

وتساءل الدكتور عماد بفضول: هل تشاجر الاثنان ثم تقاتلا؟

- لا... وإنما للاشتباه فيه...

- كيف!!

أشار الضابط صابر الألفي إلى الجندي الصريع وإلى صندوق ملقىً على مقربة منه... وقال:

- كان مارًا بسرعة وهو يحمل الصندوق المغلق... وقد بدا في سيره كالمنوم يمرق مترنحًا لدى ساحة المخازن الخلفية... فلما ناداه زميله وسأله عن وجهته لم يجبه ولم يلتفت إليه بل انطلق يعدو، حينئذ أمره بالتوقف لكنه زاد في عدوه... وهنا وقد قوي الشك لدى زميله اضطر إلى إطلاق رصاصتين على قدميه، إلا أن الأول خلال محاولته الهرب أصابته رصاصة منهما في ظهره أدت إلى قتله على الفور...

وعلق الدكتور خميس وهو يهز رأسه ويقلب شفتيه...

- واحد آخر يكتشف... واحد ممن غزت الكائنات رءوسهم أو عقولهم... أو أيًا يكون مكان استقرارهم ببدن إنسان... أدعو الله ألا يكون للغزاة أكثر مما قدرنا...

إلا أن الدكتور عماد تأبط ذراع صاحبه يسحبه بعيدًا: والآن هيا بنا... لقد تأخرنا كثيرًا...

انصاع الدكتور خميس لصاحبه... لكنه لم ينس أن يؤكد على الضابط صابر الألفي بضرورة إخباره بنتيجة تشريح جثمان الجندي القتيل، ثم انطلق العالمان يسرعان الخطى إلى مقر المجهر العملاق والكائن الباقي في أعماقه، وفي الطريق راح الاثنان يحاولان تجميع معلوماتهما لتحديد عدد البشر الذين تم اكتشاف سيطرة الكائنات عليهم...

قال الدكتور خميس وهو يلهث من السير متقدمًا عن صاحبه: لقد قتل أول ممرض اشتبه في حمله للكائنات منذ يومين... ثم قتل الممرض الثاني أثناء حقنه مريضًا بالمستشفى... وقتل الجندي الأخير اليوم... وأفلتت الطبيبة التي ساعدنا الحظ على إنقاذها... منهم ثلاث رجال قتلى والطبيبة التي نجت وما تزال حية...

وأكمل الدكتور عماد وهو يلاحق خطى الدكتور خميس العجلة: فإذا كان برأس كل منهم أربعة كائنات كما قرر قائدهم بيماخور... نكون قد تخلصنا من ١٦ كائنًا منهم للآن!

وقفز الدكتور خميس يعتلي جزءًا صخريًا من الطريق لم يمهد بعد بينما يدير رأسه مكلمًا صاحبه...

– معنى ذلك أن هناك ٢٨ كائنًا ما يزالون مختفين؟

وتمتم عماد: ترى... لمن الغلبة في النهاية؟

☆☆☆☆

بركن الشاشة البارزة للمجهر الإلكتروني كان الكائن بيماخور يقف في حالة انتباه لدى ظهوره، وما أن أحس ببداية تشغيل المجهر حتى بادر بتشمم الهواء ليتعرف على من حضر، فلما تيقن من حاسته أن الحضور هما العالمان، قام بوضع كفيه على جانبي رأسه ثم انحنى في اتجاههما انحناءته المشهورة الوقورة محييًا

إياهما... وقبل أن يرسل أي من الرجلين كلماته بادرهما الكائن...

"أهلا... انتظرتكما طويلا .- وها أخيرًا جئتما .-.- هذا جيد فلدي أخبار قد تنهي على ضوئها كل توتر نشأ بيننا .- في الآونة .- الأخيرة .-.-"

شجعت البداية الواضحة للكائن الدكتور عماد ليضع إصبعه واثقًا على الأزرار ويسجل كلماته بقوة... "رغمًا عن هواجسي... توقعت أن أقرأ لك كلامًا طيبًا اليوم... وأن نتجاوز ما حدث بمنتهى العقلانية..." بينما استحث الدكتور خميس الكائن... "إذن هيا وأخبرنا بما عندك..."

وجاءت الكلمات متهادية مرتبة...

"لقد أتممت اتصالاتي بكافة فرق بعثتنا الانتحارية .- كما وعدتكم .- .- وتم ذلك مع سبع فرق هي الباقية بعد أن أفنيتم فرقتين حتى الأمس .- ثم حدث وأفنيتم فرقتين جديدتين اليوم .- فبقيت السبع فرق .-.- عمومًا .- قد وافق أفراد الفرق جميعهم على مجموعة الحقائق التي قدمتها لهم .-.- واقتنعوا بها .- ولمتثلوا لأوامري بعدم إتمام المهمة التي جئنا من أجلها .- على مسئوليتي .-.-.-.- عدا فريقين .- أولهما الفريق المكلف بتدمير مبنى العقل الإلكتروني المركزي بالفيوم .-.-.-"

زمجر الدكتور خميس وهو يضغط على أسنانه... "والثاني؟؟"

لكن الكلمات ظلت تتوالى...

"الفريق الثاني هو الموجود في نطاق أحد مباني القاعدة الفرعية .-.- وهذا .-. منقسم .- على نفسه .- اثنان من أفراده وافقا .- واثنان رفضا بشدة التنازل عن تنفيذ الخطة.-.-"

تساءل الدكتور عماد شبه محبط... "يا إلهي... والنتيجة؟"

... "تشب نقاش عنيف بين الأربعة بـداخل رأس حـاملهم .-.- لكـن سرعان ما تحول النقاش إلى تشابك بالأيدي .-.- وبعدئذ إلى إطـلاق قاذفات الأشعة .-.- والتي نتج عنها هلاك الكائنين الرافضـين وكـذا كائن موافق .- وفي النهاية بقي الكائن الرابع الموافق .-.- والموقف الأخير الآن أن هذا الكائن بعد أن حدد لي موقعه يلح في إنقاذه سـريعًا لا سيما والضابط الحامل له ولرفاقه القتلى مـا يـزال .-.- ملقـىً .- على نتوء صخري .- في حالة .- سيئة .-.-.-"

عجل الدكتور عماد بالرد... "اطمئن... سنأخذ كافـة بيانـات الموقع وسننقذ بإذن الله كائنك والضابط."

بينما كانت أصابع الدكتور خميس تسجل بدورها ردًا مناسبًا... "بعد الذي ذكرت فالنتيجة مشجعة يا بيماخور... حيث لم تبق غير عقبة واحدة... تتركز... في منطقة الفيوم... فيما يحيط الصـرح الضخم للعقل الإلكتروني المركزي هناك..."

وأعطى الكائن الجرثومي شاشة المجهر ومن ورائها أعين العالمين، ظهره. وقد أراح يديه على خاصرته... في حين تتالت الكلمـات شـبه مطموسة وباهتة وكأن صاحبها يهمس بها لنفسه مفكرًا...

... "لا أدري كيف سيتعامل .- المردة .- أهل الأرض .- مع هؤلاء الأربعة .- العاصين .- حقًا إن موقفهم مُخز .- خاصـة .- وأنـا أجهل مكانهم تحديدًا .- ولو قصدت فإن جهـازي لا يقـدر علـى كشفهم وهم على مثل هذه المسافة النائية .-.- من هنا إلى حيـث .- سهل .- الفيوم .-.-"

سأل الدكتور خميس... "وهل يوجـد فـارق بـين أن تتصـل بجهازك بهم وتتفاهم معهم... أو أن تتعرف على مكان اختبائهم؟"

... "بالطبع الفارق كبير .- فمجرد الكلام ممكن بواسطة الذبذبات

التي تصل وتتلقى الكلمات مباشرة .-.- في حـين أن الاختبـاء يكون في مكان خفي أي وراء أو بداخل حواجز .- عـلاوة علـى ذلك يتم أيضًا نشر مادة ساترة يصعب اختراقها .-.-"

وتتالت في أعقاب ذلك سلسلة طويلة من المحادثـات الشـاقة ببنودها المملة بتفاصيلها، بـين الكـائن بيمـاخور سـن جانـب. والعالمين، وقد انضم لهما اللواء عبد الـرحمن رئـيس القاعـدة، وثلاثة من مساعديه من الجانب الآخر، وقد تم التوصل في نهايـة المحادثة إلى تدبير عدد من النقاط الهامة المحددة والواضحة دون لبس، لتكوّن اتفاقًا مبرمًا بين شعب مصر وشعوب جزء من المجرة التي تنفرد وسط الكون بصغرها المتناهي، ممثلين في أفراد البعثة الانتحارية البيبيمية وقائدها بيماخور.

واتفق الطرفان على تسجيل الاتفاق المبرم على مرحلتين، الأولى على مسجل الكائن الجرثومي بأصواتهم فلكل صوت من أصـوات رجال القاعدة المصرية بصمة، والثانية علـى ورق صـغير يـتم اعتماده من الأطراف العملاقة بالتوقيع ومن الأطراف الجرثوميـة ببصمات الكفوف والتي يتم تكبيرها عبر العقل وبوسائله الإلكترونية فتخزن بالعقل عشر نسخ وتتداول خارجيًا خمسون غيرها.

ولم يخرج الاتفاق عن الاعتراف الصريح بأن ما تـم تـدميره وإفناؤه من كواكب بالغة الصغر بكافة ما عليها من أحياء، إنما قد تم وقوعه عن طريق الخطأ البحت غيـر المقصـود، فالمركبـة الأرضية القادمة من جمهورية مصر لم يكن لملاحيها ولا لرئاستهم المتابعة للرحلة أدنى علم أو توقع بوجـود مثـل هـذه المجـرة الصغيرة... كما لم تجر حسابات فلكية من أي نوع راق سابقة ولا لاحقة تعلن احتمال وجود مثل هذه المجرات في الكـون، وأيضـًا

وهو أمر محوري بالغ الموضوعية والأهمية، فلا يوجد كذلك أدنى قصد ولا شبهة مكسب لاختراقها وتدمير أجزاء منها أو إفناء آلاف كائناتها الذكية المستقرة على سطوح كواكبها...

والآن بعد أن استتبت الأمور وعرف الحق من الباطـــل، فقــد أصبح لزامًا على الطرفين عدم المساس بأفراد الطــرف الآخــر، وذلك منذ توقيت الدقيقة الأولى من فجر يوم كذا بتاريخ شهر كــذا في عام كذا، بل وحتمية الالتزام بحمــايتهم وحمايــة ممتلكــاتهم وأراضيهم... فقط يستثنى من ذلك فريق الأفــراد الأربعــة مــن الكائنات المختفية بموقع مجهول بسهل الفيوم بنية تفجيــر قنبلــة نووية صغيرة محدودة تدمر بناية وملحقات العقل المركزي بغرض إزالته كلية من الوجود، ففي حالة هذه الكائنات الرافضة التســليم والمصرة على تنفيذ الخطة الملغاة، يحق للبشــر المصــريين أن يتخذوا ما يرونه لحماية أنفسهم وممتلكاتهم وأراضيهم.

كما نص الاتفاق على أنه أصبح واقعًا وضرورة فعلية اعتراف السلطة المصرية بحقيقة الوجود الفعلــي للمجــرتين الصــغيرتين الفريدتين، التي بداخل تجويف قمر المريخ فوبوس والمجرة الثانية بيبيم التي بخارج التجويف، وامتلاء المجرتين بنجومهما وكواكبهما وملايين الأحياء على هذه الكواكب، هؤلاء الكائنات الجرثومية التي لا ترى إلا بتكبير صورها أضعافًا مضاعفة إذا مــا أراد رؤيتهــا البشر العمالقة سكان كوكب الأرض أو سكان كوكب غيره.

أما آخر بنود الاتفاق فقد أضيف بناء علــى طلــب المســئول المصري اللواء عبد الرحمن محمد حول تولي مصر حكومة وشعبًا مهمة إعادة من يبقى أحياء من فريق البعثة الانتحارية إلى موطنهم الأصلية بعدد من كواكب المجرة الصغيرة لدى قمر المريخ، وذلك

بإنزالهم على ثرى قمر المريخ فوبوس ذاته. ومن هنـــاك تعيـــدهم قياداتهم إلى مواطنهم.

☆☆☆☆

ولدى غروب الشمس عادت المروحيـــة بالرجـــال متـــوردين مستبشرين وكذا بأخبار طيبة، فقد تم الاتصـــال بالقـــاهرة أخيـــرًا ليعرف المسئولون كافة ما حدث بالقاعدتين، وأن أكثر من نجدة في طريقها للقاعدة على الفور، وأن أول المعونات ستكون في صورة كمية من مضاد حيوي جديد وشديد الفاعلية في القضاء على أعتى الجراثيم، وأيضًا الكائنات البالغة الصغر والشبيهة بهم!

☆☆☆☆

[١١]

أخذت تصعد جانب الجبل المنحدر في مشقة ومعاناة وهي ملفوفة الرأس مضغوطة الصدر، فلما بلغت القمة انطلقت تعدو كالمجنونة وقد تيبست أضلاعها على قلبها فكاد يتوقف عن النبض. بينما لاحقتها الرياح العاتية ولاحقها الوخز الممض المتواصل في كل خلية من خلايا جسدها خاصة عنقها وكتفيها.

ويروح الجسد بعد أن فاض به وحط عليه التعب المتواصل، يروح يلح أن كُفي عن العدو، وتوقفي، والتقطي الأنفاس، لكن هيهات فالأشباح لا يعطونها الفرصة، إنما يتكاثرون عليها فيزداد وخز خلاياها ودفعها نحو مزيد من الطاعة لهم، ومزيد من العدو والتصرفات اللاإرادية بلا غاية ولا نهاية فقط استجابة لرغباتهم.

لا... بل بعد دهر من المعاناة حلت نهاية غريبة... لقد نعست... فنامت... لتحلق بها الطيور البيضاء... وتطير بها بعيدًا... إلى جزر السماء... حيث الخضار الندي الممتد حانيًا إلى جميع الأطراف... وسرعان ما نبتت كذلك الورود والرياحين والأزهار حولها وغطتها بأريجها وسحرها... لتهدأ وتنتعش... وتعيش الحلم البهيج الذي لم تألفه قبلُ...

ورويدًا رويدًا راحت تستيقظ... متحررة... طليقة... بلا أشباح...

ومدت ساقيها عبر الفراش تفرد جسدها، ورفعت يدها تتخلل بأصابعها الرخصة جدائل شعرها الحريري، وتشجعت فأطلقت

نفسًا من عمق صدرها طالما كبتته. وتململت وتحركت قليلا حتى تجرأت ففتحت عينيها ليقع بصرها عليه... ذلك الوجه الرجولي الوسيم وقد ركز بصره عليها واحتوى وجهها في حنان دافق واهتمام كبير...

نطقت عيناها بالدهشة لوجود هذا الغريب قرب فراشها بمفرده، يستحيل أن يكون من الأشباح فهو واضح بوجهه المبتسم وقسماته العطوفة، هل عرفته قبل؟ في واقعها أو أحلامها؟ هل بحثت عنه من قبل عبر سني عمرها الثلاثين...

واعتدلت الطبيبة نور لتسأله بدلا من حيرتها لماذا جلوسه قبالتها؟!

فبادرها العقيد جوهر في سعادة وحبور: الحمد والشكر لله... ها أنت استيقظت... وأراك معافاة.

اجتاحتها دهشة شديدة فتمتمت: وهل كنت مريضة؟

همس في أسف: ياه... ولدرجة سيئة... لقد نجاك الله بمعجزة حقًا...

شحب وجه المرأة: يا لطيف... أي أزمة مرضية... لجتاحتني!!

مد الرجل أصابعه القوية يضغط بها على أطراف أصابعها الممتدة في اتجاهه، في حين اكتسى وجهه بالأسى والجدية: في الحقيقة... لم... يكن... مرضًا... يا دكتورة نور...

زادت دهشتها: وتعرف اسمي؟

- بل وحملتك على ذراعي هاتين... حتى أسرع بك في صحبة العالمين دكتور خميس نور الدين ودكتور عماد علام... لإنقاذك من احتلال الكائنات بعد أن خدرك الدكتور خميس في البداية...
واستمر العقيد جوهر يسري في إخبار الطبيبة نور سلامة بكافة

ما يعرف من أحداث مرت بها منذ أدخلت في جسدها مجموعة الكائنات... عن طريق حقنها حتى تحقق لها النجاة منهم... على أيدي العالمين بفضل دقة ملاحظتهما...

همست الطبيبة نور في عذوبة: وأنت يا سيادة الضابط... ما دورك معي؟

ووجد العقيد الشاب الفرصة ليعرفها بنفسه، فأخبرها برتبته العسكرية، وبدوره في غزو الفضاء حتى حمل لقب ملاح مصر الأول، وإلى أن وصل لظروف مجيئه إلى القاعدة موفدًا من العاصمة، وعندئذ التقى بها ثم ساعد في تحريرها من قبضة الكائنات الجرثومية...

على أن الطبيبة كانت بالفعل قد اجتازت أعتاب الفردوس الذي فتح لها بوابته على مصراعيها... لتتخلص من أضرار العبث برأسها وإنهاء نتائجه المفروضة قسرًا... وفي ذات الوقت الالتقاء بهذا الفارس الشهم الذي حرك مشاعرها منذ وقع بصرها عليه...

تحسنت صحة الطبيبة نور سلامة فعادت ترى المرئيات ببصرها وعقلانيتها الشخصية، وتمتلك زمام الأمور من منظورها وبقدرتها الذاتية، وما كادت تمر اثنتا عشرة ساعة تالية إلا وكانت مغادرة لفراشها ولتجلس هي والعقيد جوهر بكانتين المستشفى يتناولان به بعض السندوتشات والعصائر المعلبة... ولتروح الطبيبة تقص على العقيد كيف تردت حالها وتمزقت أحاسيسها خلال احتلال الكائنات لرأسها!

قالت الطبيبة وقسماتها عابسة مكفهرة: صدقني... لم أكن وقتها في كامل وعيي... تصرفاتي ومعيشتي ونومي وحتى أحلامي... بل وأدنى حركة تصدر عن بدني لم تكن تؤدى بكامل إرادتي...

هل أقول إنني كنت كالمنومة مغناطيسيًا... أو الملغاة عقليًا المدمرة نفسيًا؟.. أما أشق الأوقات التي مرت بي وما أكثرها... فهي التي كنت أؤدي خلالها فعلين متناقضين متضادين معًا... ناهيك عن نوبات الصداع والزغللة وطنين الأذنين...

قطب العقيد جوهر جبينه: هذه أعراض متوقعة لوجود الأجسام الغريبة في محيط رأسك كما أخبروني... لكن ما موضوع إتيانك لفعلين متضادين معًا... كيف؟

ضحكت نور ضحكة صفراء: كأن أقصد الذهاب إلى اتجاه بعينه فأجدني أستدير نحو آخر لم أقصده، وما حدث مع الخبير أدهم لهو خير مثال على قولي... فحين كشفت عليه بالمستشفى لم أجده مريضًا لكني قمت بحقنه مرغمة... والأدهى أني حقنته بمحلول مركز لا أعرفه...

هتف جوهر مستاء برغمه: ولم تحاولي تبين نوعية هذا المحلول!!

- يبدو أن صراعًا نشب بداخلي وقتها...

فقد عدت أمسك بزجاجة المحلول تلقائيًا فلما لم أقرأ عليها ما يشير إلى محتواها... رفعتها قبالة الضوء... لعلي أفسر كنه السائل القاتم الشبيه بالبوظة... لكن... وجدت بصري يخذلني فلا يستجيب للفحص والتأمل... ثم إذا بذراعي تعصاني فأترك الزجاجة على مائدة قريبة ثم أسارع بمغادرة الحجرة...

وطوى جوهر الوجه الذي يطالعه في عباءة مشاعره واحتوى كلتا يديها بحنان دافق... وهو يهمس.

- عمومًا قد أصبح ذلك كله ينتمي للماضي... ومن اليوم فلن تخشي شيئًا طالما أنا بجوارك...

وتعالى عبر الممر صوت الطبيب الشاب حاتم شاكر فقد آن

توقيت مروره على مرضاه ترافقه ممرضة من مساعديه، عندئــذ نظر العقيد جوهر في ساعته ووقف على أثر ذلك معتذرًا للطبيبــة بحتمية ذهابه الآن ليلحق بزملائه حتى يشاركهم إجراءات حمايــة القاعدة والتي لا بد أنها تجرى حاليًا على قدم وساق.

وترك العقيد الطبيبة نور سلامة بعد أن وعدها بالعودة إليها سريعًا.

على الجانب الآخر فقد اشتعلت الإدارة فجأة بنشــاط محمــوم، شمل كافة أفرادها العسكريين بدءًا من اللواء عبد الرحمن محمــد إلى أصغر جندي بالقاعدة، حيث تكاتف الجميع في البحــث عــن القنبلتين الذريتين وفي نزع أداتي تفجيــر كــل منهمــا وإبطــال مفعولهما خلال ساعتي زمن.

في حين تولى العالمان مهمة مختلفة أكثر إلحاحًا، وهي استقبال وتجميع الأفراد المختفين مــن ضــباط ومتخصصــين بالقاعــدة، والسابق حقنهم من أبو فارس أو غيره بالكائنات الجرثومية، حيث بدءوا في تسليم أنفسهم طواعية ليتلقاهم العالمان ويقومان بتوزيعهم على أطباء المستشفى ليتولوا شفط الكائنــات عــن طريــق أوردة حامليهم وإخراجهم أحياء... ومن ثم تودع الكائنات في وعاء ضخم معقم للحفاظ عليهم سالمين إلى أن يعادوا إلى أوطانهم، في حــين اتخذت إجراءات معالجة رءوس الرجال السابق حملهم للكائنــات لإتمام شفائهم من صدمة احتلالها والتحكم فيها وما كان يصــاحب ذلك من مضاعفات.

وهكذا تقدم أول المختفين خبير الملاحة الجوية الرائد صــبري عطية مستسلمًا إلى فريق لاستقباله أعده اللواء عبدالرحمن محمــد ليدخل فورًا إلى عنبر الحوادث تحت إشراف العالمين وسرعان ما أجرى له اللازم.

وفي أعقاب خمسين دقيقة أعلنـت نتـائج الفحـص بالأشـعة والأجهزة الدقيقة سلامة الكائنات الأربعة بـل وتـم اسـتخراجها سليمة، كما نجا كذلك الخبير صبري عطية، وبذلك تقلـص عـدد الكائنات الطليقة إلى ١٥ كائنًا.

وطير العالمان الخبر الجديد من المستشفى إلى المبنى المجاور على بعد خطوات حيث يستقر الكائن بيماخور في قلـب المجهـر الإلكتروني، وسرعان ما أحضر الدكتور عماد الكائن عيانًا علـى شاشة المجهر وهو يستقبله بإحساس الصداقة والألفة، في الوقـت الذي بادر فيه الدكتور خميس بالكتابة على أزرار لوحة التسـجيل بمودة... "كيف حالك يا بيماخور... أرى أن الأمور تسـير فـي طريق الحل المرضي للطرفين..."

ضم الكائن يديه حول رأسه وانحنى بكل جسده أمامًا يحييهما... كعادته...

... "وأنا أنتظر مجيئكما دائمًا بكل الاشتياق .-.- وستجداني بخير .- طالما الأمور تسير نحو الحل والاستقرار كما تقول .-.-"

واسترسل الدكتور خميس... "لقد أمكننا إنقاذ أول دفعـة مـن قومك، ليعودوا سالمين، بمحض إرادتهم، تنفيذًا لندائك الحكيم..."

بدا الكائن بيماخور واقفًا في اعتداد بعرض الشاشة وقـد راح يختلس النظرات فيما حوله بينما يرسل كلماته في تؤدة...

"ألم أقل لكم .-.- فأنا أدرى بقومي .- إنهم دائمًا يرجحون العقل .- كما يتمسكون بالنظام والطاعة عن ارتكاب الحماقـة ومعانـدة القانون ونبذ المنطق السليم .- وهم سريعًا يعون صدق ما نصـل إليه .- من أدلة علمية دامغة على استحالة القصد السيئ لديكم أو غيركم للإضرار العمد بمجرتنا .-.-.- وقد أيقنوا أن ما حدث لـم

يزد عن مجرد خطأ نادر الوقوع .-.-"

ونقدم الدكتور عماد ليسجل ما يجيش بصدره على لوحة أزرار ثانية...

... "في اعتقادي أيها الحكيم بيماخور أنك قد اتخذت موقفًا رائعًا... لا بد وأن نقدرك ونشكرك عليه، فلولا قرارك الفاهم المنصف... لربما تطور انتقامكم... منا نحن المصريين... المستقرين على هذا الجزء المتوسط من كوكبنا الأرض إلى تفجر نوع من التقاتل المدمر البغيض... وانتشاره إلى دول أخرى..."

على حين أراد الدكتور خميس أن يسخر من الموقف كله... فكتب...

... "وحينئذ سوف يسجل في تاريخ ركن من مجرتنا الكبرى، سكة التبانة... بداية اليوم العجيب الذي أمكن فيه لكائنات بالغة الصغر أن تشعل حربًا خرافية في أرض العمالقة!"

لكن الدكتور عماد اعترض... "العكس في ظني هو القابل للحدوث... بأن يبدأ العمالقة اعتمادًا على ضخامتهم وجبروتهم الإقدام على مهاجمة الأقل شأنًا... واكتساحهم وإفنائهم... خاصة في حالة بلوغهم منتهى الصغر والتضاؤل كالهباء...

ويقلب الدكتور خميس شفتيه ويضغط الأزرار متأففًا... "أشاركك الرأي فقط في حالة كونهم من بشر كوكبنا... فلا مثيل لتعديهم وحمقهم... فهَمُّ حياتهم الأول حصد الغنائم والسيطرة على الغير وإذلالهم... وإلا ما وجدت كلمة عبودية..."

... "لا لا .-.- بقي سؤال .-.-.- دعونا نتوقف أمامه قليلا .- فإذا كنا نحن نمثل بالنسبة لقامتكم المهولة ما يدفعكم لتسميتنا بالكائنات الجرثومية أو الهباء .-.- أفلا يحتمل .- أو ربما هي موجودة بالفعل في أماكن أخرى من الكون كائنات في مثل أحجامنا

.- لكن تختلف عنا سلوكيًا فتنزع إلى الشر ؟.-.-"

غير أن الدكتور عماد ينفد صبره فيضغط على الأزرار بحدة، بعد أن طال صمته وطال تفكيره...

... "الضخامة والعملقة وكذا الصغر تراجعًا إلى درجة الهبـــاء... كل ذلك ليس مقياسًا ولا دليلا على وجود الشر أو الخير... ثـــم... إذا اعتبرنا أن الكائنات البشرية هي خرافية في كبر أحجامها... والكائنات الجرثومية مجرد هباء أو لا شيء مقارنة بها... فهل عدم الكون مـــن وجود كائنات أخرى أكثر ضخامة من البشر... بحيث نصبح نحـــن بني الإنسان هباء بالنسبة لهؤلاء الجدد!!"

وخطا الكائن ليجلس على كتلة صلبة مـــن الحجـــارة، ويلقـــي بذراعيه ليستند بكفيه على جانبي جسده... وانتقـــل إلـــى بصـــر العالمين فحوى ما كان ينطق به وقد حلق ذهنه بعيدًا...

"كل شيء جائز .-... إن مساحات الكون المترامية .- الخفية .- والمظلمة .- النهايات .-.- لا بد وأن تحتوي كل غريب ومدهش ومثير .-.-"

أرخى الدكتور خميس عينيه وهز رأسه مستوعبًا ومؤمنًا...

."من هنا كانت رسالة الخـــالق... الله ســـبحانه... فـــي كتبـــه السماوية المبعوثة لكافة مخلوقاته بأنحاء كونه العظيم... المهيب... أن تحابّوا... وتآلفوا... واسموا بأفكاركم وأفعالكم وتطلعاتكم... فلا بد وأن يرفرف السلام والأمان على أنحاء الوجود..."

☆☆☆☆

أخذ قرص الشمس ينحدر ببطء نحو مرقده اليومي لدى الأفـــق الغربي، بينما كان يراقبه كعادتـــه اليوميـــة، ويراقـــب المشـــهد الصحراوي الممتد تحت أشعته القوية، جندي الحراسة الرابض في

موقعه بأعلى التلة وحوله أكياس الرمل الواقية، وذلك في نهاية قاعدة الجلف الرئيسية... وعاد الجندي شلقامي يكتسح المشهد الممتد في مدى بصره شرقًا وشمالا وغربًا ربما للمرة الألف وقد خلا من أي حركة ولو لحيوان صحراوي عابر...

وأخذ قرص الشمس يزداد احمرارًا ليجتذب انتباهه أكثر... وقد امتدت أسفله سحابة مضفرة يزداد احمرارها وتوهجها بدورها مع مرور الوقت... وقدر الجندي حسب خبرته أنه لن تمر ساعة تالية إلا وتلتحم الشمس بالأفق وتتوارى خلفه... لكن بغتة يتسلل إلى أذنيه الضجيج الجماعي خافتًا في المبدأ... ليروح يقوى ويتزايد آتيًا من قبة السماء شرقًا... وحول الجندي وجهه وهو يرفع منظاره المكبر إلى عينيه... وبعد أن أطال التحديق عاليًا لثوان عاد وأمسك اللاسلكي ليتصل بقيادته...

"أرى مجموعة من النفاثات المقاتلة تتقدم مجموعة أقل عددًا من نفاثات أخرى ضخمة... وكلها مصرية... وهي تقبل جميعًا من الشرق... ما يزيد عن ثلاثين نفاثة تتجه إلينا رأسًا... مقبلة من اتجاه القاهرة... لقد جاءت النجدة أخيرًا يا أفندم..."

وبالفعل خلال ثلاثين دقيقة ربضت بمطار القاعدة "الأم" ١٢ طائرة نفاثة ضخمة وضعف عددها من النفاثات المقاتلة حديثة الطراز، وفي حين أخذ الجند يفرغون المعدات والأجهزة الدقيقة والمؤن من النفاثات الضخمة، انكب كل من اللواء عبد الرحمن ومساعديه يضعون الخطة النهائية للانتقال قبيل الفجر على واحدة من النفاثات الضخمة إلى منطقة سهل الفيوم، حيث اللقاء الحاسم مع الكائنات الأربعة التي أعلنت عصيانها دون بقية البعثة الانتحارية الـ٤٤...

وفي أعقاب إتمام تفريغ حمولات النفاثات الضخمة الاثنتي عشرة انطلق صوت جهوري ليعلن من خلال مكبرات الصوت المنتشرة عبر دور القاعدة وامتدادًا إلى منطقة سكن العائلات بضرورة توجه أفراد القاعدة من جند ومدنيين إلى مبنى العيادة الخارجية بالمستشفى... للتطعيم بجرعة مضاد حيوي بالغ الفاعلية.

وفي طابور المدنيين وبينما تجمعت الزوجات والأبناء ضمن العاملين بأنحاء المكان يقفون طوليًا كل ينتظر دوره، انضم إلى آخر طابورهم العالمان الدكتور خميس والدكتور عماد، بينما يتحرك الكل أمامًا ليأخذ شكة يسيرة من محقن يدفع في ذراعه قدر سنتيمتر واحد من الدواء.

استدار الرجل الواقف أمام الدكتور خميس، وتنحنح قبل أن يوجه إليه سؤالا...

- يقولون يا دكتور إن الإدارة توصلت لمعرفة أماكن الرجال المختفين... وأنهم في طريقهم الآن لتسليم أنفسهم الواحد تلو الآخر... فلم كل هذا الخوف من الكائنات الصغيرة جدًا... أقصد الجرثومية؟

أجاب الدكتور خميس: الذي ذكرته عن عودة المختفين، ليس إلا مجرد اتفاق نفذ في حدود ضيقة... حيث تقدم صباح اليوم رجل واحد هو أول من استسلم...

وعاد الرجل يقول مصرًا: لكن الباقين في طريقهم للاستسلام يا دكتور...

ويهز الدكتور خميس رأسه مؤكدًا: هي بالفعل مسألة وقت... حتى... يستسلموا جميعًا...

- تمامًا يا سيدي... هذا ما قصدته... فلماذا المخاطرة بإعطاء

مضاد حيوي... لا سيما وهو كما سمعت من القوة بحيث يسبب غالبًا نوعًا من الصداع وارتفاع درجة الحرارة...

ويتضايق الدكتور خميس مما يقوله الرجل فيروح يتأمله في استفزاز...

- الوقاية يا سيد خير من وقوع الكارثة... خاصة وعدونا خفي... مجهول!!

إلا أن الدكتور عماد يسارع بتخفيف الموقف: الدكتور يعني يا صديقي... أنه لا توجد أضرار تذكر من تعاطي المضاد الحيوي... وإلى أن يستسلم المختفون جميعًا وهم كثيرون... فقد يأخذ الأمر أيامًا؟

ويتراجع الرجل بأدب: أو تنشأ مشاكل بعيدة عن الحسبان... فهمت... إنما أخاف على ابنتي... فإنها ضعيفة البنية... قد ترهقها تفاعلات هذا المضاد الحيوي...

وتنفرج أسارير الدكتور خميس: اطمئن... فلن تتعدى الأخطار الجانبية، الصداع وبعض الدوار، وارتفاعًا يسيرًا في درجات الحرارة... لمدة يوم وقد لا يحدث...

ويعلن الدكتور عماد مبتسمًا: ولتعلم فإن جرعة الطفل نصف جرعة البالغ... خاصة والكائنات تدري بقلة حيلة الصغار ومن ثم لم يختف أطفال قط... لكننا نطعمهم من باب الحرص...

وحط الصمت على الواقفين إلا من تقدم بطيء لخطاهم عبر الدقائق الممطوطة... حتى أقبلت فجأة الطبيبة نور سلامة، لتقف وراء الدكتور عماد، ويستقبلها العالمان بفرحة غامرة...

سألها الدكتور عماد: هه... كيف أنت حاليًا... أظنك قد استعدت صحتك... ومعنوياتك... بينما هتف الدكتور خميس: ما شاء الله...

بل أنت الآن كما عرفتك دائمًا... بقيت ابتسامتك المعهودة... وضحكت الطبيبة وهي تصافحهما وتشكرهما في حياء، ثم انطلقت تتجاذب مع العالمين كلمات عابرة حتى انتهى الطابور بتلقيها جرعتها من المحقن الذي حمله طبيب لم تره قبلا، وهي تجاهد عبثًا نسيان ذات الآلة بسنها القصير عندما اخترقت، وريدها منذ أيام، لتدفع إلى عمقه بالأشباح القساة الذين أذاقوها العذاب وكادوا يوصلونها إلى الجنون...

لكنها أفاقت من الذكرى القاتمة على لمس أصابع دافئة، فاستدارت على مهل...

"جوهر... هو أنت! لقد جئت في الوقت المناسب!"

وهمس بدوره: وهل أملك إلا أن أبحث عنك... لأبقى إلى جوارك دائمًا...

تأبطت نور ذراع العقيد جوهر يسري في الحال وألقت كلماتها في أذنه مباشرة...

- إذن هيا بنا... إلى حيث يمتد بيننا حديث لا ينتهي...

واستدارا يحييان العالمين ويختفيان بعدئذ بعيدًا...

وهناك على واحد من بسط الحشائش بطرف الحديقة المقابلة لميدان المستشفى، وأسفل فانوس أضيء بعد أن غربت الشمس وأقبلت الظلمة. افترش الاثنان الحشائش وراحا يتبادلان مناجاة الأعين وهمس الكلمات الخارجة من القلب للقلب... وقد نسيا ما يحط على القاعدة وما في امتدادها، وما يخيم على ناسها وناس رقاع ممتدة حولها وإلى الأقاصي... من كابوس ثقيل لم ينقشع بعد...

☆☆☆☆

[١٢]

راحت النفاثة الضخمة من طراز م٦٦٦٠ حمولة ١١٠ طن تتقدم وهي في الأعالي حثيثًا وفي إصرار تجاه الشمال، غير آبهة بما تنوء به من حمولة كاملة من الرجال والعتاد بينما تحيط بها وتتقدم في اتجاهها أربعة نفاثات مقاتلة من طراز الخفاش ذات الأجنحة المثلثة المتحركة.

وبداخل النفاثة الضخمة جلس يمينًا، بدءًا من كابين القيادة اللواء عبد الرحمن فالدكتور خميس يليه الدكتور عماد ثم العقيد جوهر وبعدهم مجموعة من الضباط والخبراء حتى الذيل، وجلس في المواجهة نحو ٢٢ جنديًا. في حين استقرت في الوسط بين الجلوس صناديق المعدات والأسلحة بذخائرها، وانحنى اللواء أمامًا ومديرًا وجهه في نفس الوقت إلى ما وراء جسدي العالمين على يساره، قاصدًا العقيد جوهر وهو يقول له، في صوت مرتفع حتى يعلو على هدير النفاثة...

- أعرف أنك عملت ما يزيد عن عامين يا جوهر... متوليًا رئاسة طاقم أمن العقل الإلكتروني المركزي بالفيوم... أليس كذلك؟

أجاب جوهر بذات الصوت العالي: هو ذلك... عملت هناك مدة ستة وعشرين شهرًا...

- عال... فهل أعطيتنا فكرة شاملة عن هذا الصرح المهول الذي نتوجه إليه مسرعين؟

مال العقيد جوهر بجسده وزاد من علو صوته: آه مطلـــوب أن أعرض معلوماتي عن العقل المركزي العملاق... حسن... بدايـــة هو تجمع إلكتروني بالغ الضخامة والتعقيد... والمصنف كتاســع جهاز عملاق على مستوى العالم... وقد شيدت مبانيه في منطقـــة سهل الفيوم بعد اختيارها موقعًا يتوســـط قـــدر الإمكـــان الأرض المصرية المترامية...

وتوقف العقيد جوهر برهة يستجمع معالم الصورة الراسخة في ذهنه... وتابع...

- والعقل المركزي بمصر يضم أضخم ذاكرة استخدمتها العقـــول الإلكترونية المركزية منذ عرفت... وهذه يحتويها مبنى المجمع الخمسيني الذي أقيم على مراحل في مساحة ألفي متر مربع... بحيث يعلو فوق الأرض بثلاثين طابقًا ويمتد تحتهـــا بعشـــرين طابقا... ومن هنا جاءت تسميته بالخمسيني... ومجموع قاعاته ٥٠٠ قاعة تضم أنابيب وصمامات التخزين المفرغة... إضافة إلى ١٥٠ حجرة للخبراء والعاملين وأجهزة الحراسة الناطقة... وأما وحدات الدخل والخرج والتحكم والحساب فمقارها موزعة على ٤٠ صالة مفتوحة... والأكثر اكتظاظًا بالخبراء...

وتوقف العقيد يقلب في ذاكرته لثوان... ثم راح يحـــدد بدقـــة وكأنه يرسم خريطة...

- يبقى أن أذكر لحضراتكم أن مبنى المجمع الخمسيني تحيط بـــه بنايات ست ممتدة ويرتفع كـــل منهـــا لعشـــر طوابـــق فـــوق الأرض... وهي دور مساعدة تحوي شبكات ودوائر العـــرض والاتصال التليفوني واللاسلكي والليـــزري... وجميعهـــا ذات قدرات فائقة في الاتصال بكافة أنحاء البلاد المصرية... وكـــذا

أنحاء العالم... في الشأن العسكري والحكومي وأيضًا الأهلي... وتمتلك إمكانات وطاقات ووسائل تنفيذ مدهشة... لإعداد البيانات الفورية المركزة... وأداء عشرات الوظائف والمهام والتحاليل، معًا وفي وقت واحد... بحيث يمكن حل أكثر من مشكلة واستخلاص أكثر من رأي وموقف ونتيجة في ذات اللحظة... وتتم هذه العمليات في أزمنة بالغة السرعة وغير محسوسة... أما أبرز مهام هذا الصرح التقني الفريد فهو التوجيه والإشراف والمتابعة، لتجارب ومبادرات غزو الفضاء المصرية وسبر أعماق وكشف خفايا وأسرار الكون..."

وسمع رنين متقطع تعالى على أثره صوت أجش لأحد طياري النفاثة عبر المذياع:

"نحن الآن على مشارف سهل الفيوم، عشر دقائق ونهبط في المطار الحربي... رجاء ربط الأحزمة." وسارع اللواء عبدالرحمن بنشر خريطة توضيحية للسهل الذي ينشدونه. وقد تحول الآن إلى واحدة من المساحات الممتدة بالخضار لأنجح مناطق استزراع الصحراء بالمستنبت المبتكر من النباتات المطورة جينيًا، وكذا النباتات المكتشفة حديثًا ومجلوبة من بعض كواكب وأقمار مجموعتنا الشمسية.

وإذ بدت مدينة الفيوم تستقر غرب مجرى النيل بنحو أربعين كيلو مترًا وجنوبي القاهرة بثلاثة أضعافهما.

فقد استلقت في اتجاه الشمال الغربي للمدينة بحيرة قارون على مبعدة نحو عشرين كيلو مترًا... بينما شغل المجمع الخمسيني وما حوله من مباني للعقل الإلكتروني المركزي مساحة الصحراء الممتدة من جنوب غرب البحيرة إلى الحافة الغربية من سهل الفيوم.

عندئذ طوى اللواء عبد الرحمن خريطته، ليوجه سؤالا محددًا إلى الدكتور خميس...

- أرجو يا دكتور أن تعيد على أسماعنا ما ذكره بيماخور عن المكان المحتمل لاختباء الكائنات رفاقه بمنطقة سهل الفيوم.

لكن إجابة الدكتور خميس جاءت مترددة: الكائن حدد لي بدقة مكان قنبلتي شطري القاعدة... إلا أنه لم يفعل نفس الشيء بخصوص قنبلة العقل المركزي... فالأخيرة ذكر بصددها كل مساحة الأرض الممتدة بطول الواجهة الغربية من البحيرة وإلى جنوبي مباني العقل المركزي... حيث أكد فقط على أنه في مكان ما من هذه المنطقة سيحفر نفق يوصل إلى أسفل المجمع الخمسيني ذاته... وتوضع به القنبلة... لتفجر ساعة الأمر بذلك...

لاحقه الدكتور عماد متمتمًا: عظيم... إذن... فضالتنا هو نفق خفي محفور تحت الأرض... في مكان ما من الصحراء الواقعة غرب العقل المركزي خاصة مجمعه الرئيسي...

وفي أعقاب دقائق قليلة مال مقدم النفاثة لأسفل وقل اندفاعها حتى هبطت وتوقفت قبالة رتل من السيارات العسكرية لينتقل ركابها من العسكريين والعلماء والخبراء إلى السيارات وقد حملوا معهم كافة متعلقاتهم... وأقبلت في نفس الوقت سيارة واطئة سوداء الطلاء وبلا نوافذ، لتتصدر الركب فتتحرك بقية السيارات في أثرها آخذين اتجاه الغرب عبر طريق عريض تحيط به أشجار النخيل من كلا جانبيه.

وفيما يقل عن خمس عشرة دقيقة لاحت بغتة مباني العقل المركزي يتوسطها مجمعه الخمسيني الشاهق، وتقدم الركب يلف مع منحنى ميدان صغير حتى توقفت السيارة السوداء فربضت

خلفها بقية السيارات وبينما توالى هبوط مجموعات رجال قاعدة الجلف وعلى رأسهم اللواء والعالمان، أخذ طابور بالغ الحداثة والغرابة من الأجهزة القصيرة المتحركة يهبط أفراده بدورهم من قلب السيارة السوداء... إنهم آليو المهام الصعبة قد أقبلوا ليتصدروا عمليات البحث والتنقيب الخطرة.

وتجمع اثنا عشر آليًا في المقدمة وهم يحملون أجهزة التمييز الموجي لصدى الرنين المعدني أينما وجد تحت التربة. يتلوهم مجموعة من أربعين جنديًا مدججين بقاذفات الليزر الحارقة... وفيما وراء هؤلاء وأولئك تناثرت بقية جموع مسئولي قاعدة الجلف.

وبدأ الحشد المترجل مهمة البحث عن النفق بطول وعرض الامتداد الصحراوي الغربي فيما وراء نطاق صرح العقل المركزي بمجمعه ومبانيه وحدائقه المتسعة.

واندفع الآليون في سرعات وتركيز أكثر بحثًا بأجهزتهم الحساسة عن أي مؤشر لوجود فراغات تحت الأرض تحوي معادن أو رقائق فولاذية، ومرت دقائق ثقيلة تكاثرت وتراكمت دون العثور على أي تجويف أرضي أو التنبيه باختباء معدن ما.

وطلب اللواء تركيز البحث في الجانب الشمالي بدءًا من جنوبي البحيرة، وفي نهاية أربع ساعات تالية شاقة، ولدى أقصى الطرف الشمالي الغربي فيما وراء سور حديقة العقل المركزي مباشرة، توقف واحد من الآليين ليغرس بيمناه الطرف المدبب لجهازه في الرمال، في حين رفع يسراه بآلة تشبه القمع أطلق بها عيارًا صوتيًا ضوئيًا معلنًا للجميع عثوره على فتحة النفق أخيرًا...

وأسفل ما يشبه تكعيبة لنبتة متسلقة اتضحت فتحة متسعة تغور لأسفل في تدرج آخره مظلم... وتدفق الآليون حاملين كشافاتهم

وتبعهم بعض الجند وضابطان، ثم الدكتور خميس، وقطعوا أمتـــارًا عدة عبر ممر ضيق، لكن على غير توقع توقف الآليـــون، فكــف الباقون عن التقدم، وخطا ضابط ليتبين سبب توقف الآليين فإذا بـــه يعود فورًا إلى الدكتور خميس ويجذبه من ذراعه أمامه ليشاهد بنفسه ما رآه، واتصل الدكتور خميس بدوره لاسلكيًا باللواء الذي تخلــف لدى فتحة النفق ليخبره... "بعثورهم على جثتي ضابط وخبير ممـــن اختفاؤهم وقد قتل الأول وجرح الثاني جرحًا خطيرًا، وأن الاثنـــين حملهما الآليون وهم في طريقهم إلى خارج النفق...".

ولدى فتحة النفق أجريت الإسعافات للخبير الجريح نيروز سعد، ورغم شدة إصابته استطاع أن يفتح عينيه ويهمـــس لمـــن حولـــه موضحًا حقيقة ما حدث قبيل حضورهم بدقائق معدودات...

"بالطبع... أنتم تعلمون... بإصابتي بهذه الأشياء الجرثومية التي تسللت إلى رأسي... لقد أحسست بهـــم منـــذ الوهلـــة الأولـــى... وصدمت بإدراكي لوجودهم وتحكمهم في تصرفاتي... وضـــغطهم الدائم عليّ لأستجيب لكل رغبة من رغباتهم برغمـــي... لـــم أدر كنههم وما زلت لكني وعيت جبروتهم ومدى ما يصيبني من أذى وألم حين أعترض رغباتهم... لقد ظلوا رابضين هنـــاك دائمًـــا... محتلين رأسي... مستقرين في عمقها... يتحكمون ما شـــاء لهـــم التحكم، دون... أن... تطالهم أظافري... لكن رغم عجزي وقلـــة حيلتي فقد أدركت خططهم...

وأغمض الخبير عينيه إعيـــاء ووهنـــا. إلا أن شـــفتيه بقيتـــا منفرجتين تفسحان الطريق لكلماته... الهامسة... الضعيفة...

"لقد اتفقت الكائنات المستقرة برأسي المسيطرة عليّ... أن تقسم عددها على مجموعتين، لتستقر كل مجموعة منها برأس عمـــلاق

بشري، وبذا يصبح حاملو الكائنات رجلين اثنين بدلا من واحد، هو، أنا... وبدلا من أن يسيطروا على قوة فرد... يمتلكون السيطرة على قوى فردين... وهكذا دفعوني برغمي لأنتقي كائنين... من الكائنات الأربعة بسحبهما من وريدي ودفعهما مرة أخرى في وريد ذلك الضابط عزت عمران الذي تصادف وجوده معي آنذاك... وبالتعاون بعدئذ مع بدويين... من قاطني الصحراء تقيم قبيلتهما بجوار قاعدة الجلف الفرعية... حملت أنا والضابط عزت وهذان البدويان القنبلة الذرية التي استولينا عليها من القاعدة الأم. في حمالة صاروخية مسروقة اجتزنا بها الصحراء طيلة يومين حتى وصلنا منطقة الفيوم... وهناك فوجئنا بنداء الكائن رئيسهم... بيما...خو...ر... يأمرهم بالكف في الحال عن تنفيذ خطة الانتقام... ومن ثم العودة إلى القاعدة والاستسلام حتى يتم لهم العودة لمجرتهم... لكن الكائنات الأربعة رفضوا الاستجابة... مقررين المعنى فيما جاءوا من أجله غير أن أحد الكائنين برأسي أمكنه إقناع رفيقه بصواب رأي قائدهم بيماخور... ولما حاول الاثنان إقناع الكائنين برأس الضابط عزت بمنطق رئيسهم رفض هذان الإذعان لهما على طول الخط... واستمر النقاش بين الأربعة حتى تم تركيب القنبلة في نهاية النفق وحانت لحظة ركوب السيارة والعمل على تفجيرها عن بعد" ...وصمت الخبير يلتقط أنفاسه ويستجيب لشرب كوب العصير الذي قدم له، ثم تابع "وتحول النقاش إلى تبادل للسباب ثم إلى صراع بالأيدي بيني والضابط برغمينا... وكأن هناك من يدفعنا لذلك دفعًا... وتحول الصراع إلى تقاتل... حتى استطعت أن أدفع ببدن الضابط عنيفًا إلى جدار النفق فإذا برأسه يرتطم بشدة بصخرة بارزة ليطلق في أثرها صرخة يصمت بعدها للأبد... في حين كان هو قد سبقني بقذف

ذلك السيخ... ليستقر طرفه تحت سرتي..."

وفقد الخبير وعيه، إلا أن الدكتور خميس بدا مطمئنًا لنجاته... ولنجاة الكائنات برأسه...

لكن الأهم ما تحقق من معجزة إلهية... وهو النجاة من شر القنبلة الذرية مهما كان تأثيرها محدودًا، فالقنبلة لم تمس... ولم تنفجر... ووقى الله العقل الإلكتروني المركزي... ومنطقة سهل الفيوم، وأنحاء البلاد المصرية... من نتائج انتقام الكائنات الجرثومية...

☆☆☆☆

في المساء – في توقيت الخامسة وخمسة وثلاثين دقيقة – وهو وقت يخلو من نشرات الأخبار... قطع البث التليفزيوني بجميع قنواته، وكذا الإرسال الإذاعي من كافة محطاته، بامتداد البلاد المصرية... ليقدم البيان التالي:

(تعرضت جمهورية مصر العربية، مؤخرًا، في موقع قاعدتها العسكرية القابعة بعيدا في جنوب غرب الصحراء الغربية بمنطقة الجلف الكبيرة إلى غزوة كونية مباغتة وغير منتظرة، وغير مسبوقة أو معروفة قبلا، وذلك من كائنات ذكية مجهولة وفي أحجام جرثومية بالغة الغرابة أتت من مستقرها بكواكب متفرقة ضمن مجرة صغيرة خرافية في حجمها، وليست بالبعيدة عن كوكبنا الأرض والتي عرفت توًا بوقوعها في نطاق قمر المريخ المسمى فوبوس.

وقد نتجت الغزوة عن خطأ مروري لانطلاقة مركبة فضاء مصرية، خلال رحلة روتينية لها إلى جو المريخ، لجمع عينات عشوائية من الغبار والمعلقات الفضائية، حيث انحرفت المركبة المصرية عن مسارها فمست طرف المجرة الصغيرة ودمرت عددًا

من كواكبها وأقمارها، دون قصد أو علم بوجودها أو وجود أحياء من أي نوع أو حجم أو صفة هناك.

وقد أمكن للسلطات المصرية الاتصال بمسئولي هذه الكائنات الجرثومية وإيضاح كافة أمور اللبس والخطأ غير المقصود، حتى تم الاقتناع والتفاهم التام بين مسئولي كل من مصر وهذه الكائنات القادمة خلسة دون دعوة أو اتفاق منذ البداية).

عبر دقائق متسارعة بالغة القصر طيرت وكالات الأنباء في أنحاء الدنيا الخبر المثير، ليعرف غالبية بشر الأرض قصة اللقاء الذي أذهل الناس في كل مكان والذي لولا إرفاق صور الكائنات كوثائق دامغة لفحواه لما صدق أحد حرفًا فيه، وهكذا تأكد للقاصي والداني أن هناك كائنات على تلاشي أحجامها قد أقبلت من بعيد، داخل عينة غبار كوني مما تجلبه المركبات الفضائية المصرية لفحصه ودراسته، وأن هذه الكائنات قد جاءت بغرض إحداث كارثة نووية بمواقع مصرية هامة وحيوية انتقامًا لكارثة مجرتهم، غير أن الأمر ومنذ بدايته انحصر في نطاق الخطأ غير المقصود، ولولا حرص وحكمة ورجاحة عقول قادة قاعدة الجلف الكبير وقدراتهم الفائقة على امتصاص الغضب والإقناع الإيجابي لنجحت الكائنات في تنفيذ مخططها الانتقامي بكل تفاصيله.

وحملت عناوين الصحف ولافتات التليفزيون ومخيلات الناس وأحاديثهم، في ربوع مصر وأمة العرب وأنحاء العالم، صورًا بطولية للعالمين الشهيرين الدكتور خميس نور الدين والدكتور عماد علام، وكذا القائد المحنك اللواء عبد الرحمن محمد... وراحت تطنب في الإشادة برجالات مصر ومواقفهم البطولية وتصرفاتهم المسئولة الشجاعة.

وبامتداد اثنتي عشرة ساعة كان العالم الأرضي بكل شعوبه ومختلف أجناسه قد أطل برمته على موقع مصر، وركز بصره على بؤرة الجلف الكبير بشطريها، وهو يتابع كل كلمة وكل همسة وكل لفتة، تصدر عن هذا الجزء من شمال القارة الأفريقية... بفضول ودهشة وترقب وإكبار لا حدود لهم... بل وتحول البشر في كل مكان على سطح الكوكب يلهثون وراء التعرف على كافة ما يتعلق بالكائنات الوافدة... حتى... بعد أن تيقنوا من صغر أحجامها... وتلاشيها... كالهباء...

وظل التساؤل العام "كيف يمكن مصادقة هذه الكائنات بعد أن رسخ احترامها؟"...

☆☆☆☆

سطعت قاعة الاجتماعات بمقر رئاسة القاعدة بضوء لمبات قوية أضيفت إلى إضاءتها الذاتية حتى حولتها إلى نهارٍ بالغ التألق، وراحت أجهزة الصوت تحمل إلى الآذان لحنًا هادئًا زاد في بهاء المكان، والذي أخذ يمتلئ بالرئاسات الوافدة من القاهرة وعواصم المحافظات ومن بعض العواصم العربية وعواصم العالم أجمع، إضافة إلى حضور العسكريين والمدنيين ممن تضمهم القاعدة...

وفي الوقت المحدد أقبل الفريق أركان حرب مندوب القيادة العسكرية العليا بالقاهرة، يرافقه اللواء رئيس القاعدة والعالمان المميزان ورهط من القيادات والضباط المسئولين.

لقد جاء هؤلاء جميعًا للمشاركة في الاحتفال بوداع الكائن الجرثومي وأفراد بعثته الانتحارية من كائنات حية وآلية قبل رحيلهم عائدين إلى كواكبهم بمجرتهم بيبيم.

وما أن استقر الكل في مقاعدهم، حتى رفع اللواء عبدالرحمن

يده في إشارة ذات مغزى لتروح الأضواء تتراجع عن سطوعها حتى وهنت وقاربت على البهتان والتلاشي، عندئذ صدحت موسيقى مختلفة الإيقاع. لها صدى ودوي بعيد، وكلما اقتربت وتعالت بدت لمساتها الجريئة داعية للمرح... والانطلاق... وبدا وكأن هناك أيضًا رائحة عطر آسر تتسلل إلى الأنوف...

وبرقت شاشة للعقل الإلكتروني أضخم من سابقاتها، وتسلل منها الضوء حتى بانت جوانبها واتضح الكائن بيماخور بثوبه اللاصق على بدنه في حجم مبالغ فيه، يماثل قامة رجل بشري متوسط الطول كما بدا متناسق القامة رشيقًا مهيبًا حلو القسمات.

وبكل الوقار رفع بيماخور ذراعيه وضم كفيه إلى أعلى رأسه وانحنى قبالة جمهور القاعدة الصامتين المبهورين يحيي الكل بتحية أهل كوكبه المستقرين بعيدًا بعيدًا في غياهب المسافات القصية وتدني الأجسام المتناهية في صغرها، عندئذ دوت القاعدة بالتصفيق الحاد الذي استمر لدقائق عدة... حتى وقف اللواء عبدالرحمن محمد ليتكلم في لاقط الكلام بينما ينقل مساعد له كلماته على الأزرار إلى الكائن... قال: "إن هذا الكائن الماثل أمامنا يا حضرات إنما يعلن وجوده عن تعرفنا لأول مرة على نوعية فريدة من كائنات الله البالغة النقاء والمثالية رغم ضآلة أحجامها، وهي نوعية عفيفة منضبطة في سلوكياتها وملتزمة بقيمها... أجل، إن هذا الكائن قد ضرب لنا مثلا نادرًا على التسامح والإنصاف وتبين الحق من الباطل... حيث وعى الأدلة والبراهين التي قدمناها إليه، وتحقق من منطقيتها ووضوح صدقها، حتى قطع في النهاية بأن ما حدث من تدمير مركبتنا الفضائية للجزء من مجرتهم إنما وقع بمحض الصدفة البحتة، وكان أن وقف بكل قواه ضد ما أسموه بخطة الانتقام، فأوقفها وجمدها...".

وتتالت كلمات الجالسين على المنصة، حتى جاء دور الكائن الذي استقام جادًا وقورًا عبر الشاشة التي تظهر... أما كلماته فراحت تترى في بطء وعذوبة...

... "إن مبدأ قومي هو الوقوف دائمًا مع الحق .-.- وإنني وقومي بإجماع علمائنا .- أننا .-.- قد خلقنا جميعًا من عجينة وموروثات مسالمة .-.- لذا نحن ننبذ العدوان بطبعنا .-.- بصرف النظر عما بدر منا لدى مقدمنا .- وحتى صححناه .-.-"

وتوقف الكائن بيماخور عن نطق كلماته. واستدار يعطي ظهره لمشاهديه، وراح يومئ بذراعه عدة مرات فإذا بكائنات أخرى حية وآلية يتقدمون ليلتفوا حوله بألوان أرديتهم اللاصقة الزرقاء والخضراء والبيضاء ليشاركوه الوقوف عبر الشاشة...

قال بيماخور... **"وحتى تعيشوا يا سادة فرحة حقيقية قبل تركنا لكم ورحيلنا عائدين إلى مجرتنا .-.-.- أرجو أن تبادروا بتهنئة رجلكم .- العقيد جوهر سري .- وتحيوه تحية حارة باسمكم واسمنا .- بمناسبة .-.- زواجه من الطبيبة نور سلامة .- والذي علمت بتمامه منذ قليل .-.-"**

وانتصب العقيد جوهر يقف خجلا وسط الحضور، وقد انهالت التهاني عليه من كل صوب... حتى الكائن بيماخور والكائنات معه أخذوا جميعًا يصفقون عبر الشاشة وكأنهم من الحضور ولا يقلون عنهم طولا وعرضًا... وليس تلاشيًا!

وظل الكل سادرين في فرحهم وحبورهم دون أن يلحظوا انسحاب بيماخور وصحبه ثم اختفاءهم كلية حتى غابت الشمس وراء الأفق ... ووقتئذ... وفي لحظة زمن مبهمة... فجأة توقف كل هتاف وخبا كل صخب وصمتت الأصوات جميعًا...

ربما عندما تعالت ضوضاء اشتعال الصواريخ العملاقة حاملة المركبة المصرية الجديدة التي رلحت تنطلق مرتفعة إلى الفضـــاء بروادها المصريين الشجعان... ورويدًا رويدًا أخذت تبتعد حتـى تضاءلت واختفت في قلب السحابات والظلمة الآتية من الشرق.

أما مَن تضمهم المركبة المنطلقة بقوة إلى الأعالي فلـم يكـن هدفهم علميًا فحسب هذه المرة، وإنما هو إنساني بالدرجة الأولـى وهم يحملون معهم أمانة بالغة القيمة، قد حـوت علبـة مخمليـة مكيفة... استقر بداخلها ستة عشر كائنًا جرثوميًـا حيًـا وعشـرة كائنات آلية يزيد عليهم رئيسهم الكائن بيماخور... والـذين علـى ضآلتهم وتلاشي أحجامهم بحيـث لا تتحقـق رؤيـتهم إلا تحـت المجهر... فإن هؤلاء يعدون نماذج غاية في الندرة من كائنات حية مختلفة، يتعرف عليها البشـر فيدهشـون لطبيعـتهم وسـلوكهم المسالم... بعد قـرون... وقـرون... وقـرون... مـن التقاتـل والصراعات الدموية التي لم يألف البشر غيرها من أجل أطماعهم الممتدة على كوكبهم الأرض.

☆☆☆☆

تـــــمت

☆☆☆☆

المؤلف في سطور

نهاد شريف:

- من مواليد حي محرم بك بالإسكندرية، على أن نشأته كانت بضاحية حلوان الحمامات. حتى تخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٥٦ حاصلا على ليسانس التاريخ.
- والده منير إبراهيم شريف أحد رواد الفن التشكيلي بمصر وهو حفيد رئيس الوزراء ومؤسس الدستور المصري محمد شريف باشا.
- وعمه أحمد إبراهيم شريف كان شاعرًا وواحدًا من كبار هواة تربية الزهور، وعضوًا مؤسسًا لجمعية فلاحة البساتين وحائزًا على عديد من الكئوس والميداليات في تربية الزهور والنباتات.
- كذلك اقتنى جده لأبيه مكتبة ضخمة ضمت أمهات الكتب في شتى العلوم والفنون.
- ومن هنا فقد كان منزل الأسرة بحلوان قبلة للفن ومنبعًا للذوق الرفيع.
- استهل الشاب نهاد شريف حياته العملية بالعمل صحفيًا في دار أخبار اليوم بالقسم العلمي بمجلة آخر ساعة بين عامي ٥٤-١٩٥٧.
- ثم عمل أوائل ١٩٥٧ موجهًا ثقافيًا فمرشدًا لتعليم الكبار فمديرًا لقسم الثقافة والإرشاد بمشروع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ "مديرية التحرير".
- ثم انتقل إلى المؤسسة المصرية العامة للتعمير والمشروعات الزراعية بالقاهرة عام ١٩٦٣ ليعمل بها إلى أن أصبح متحدثًا صحفيًا عن

الوزارة ١٩٦٣ فمديرًا للتخطيط والمتابعة ١٩٦٤.

- لكن في عام ١٩٧٤ – وعقب ظهور مؤلفه الأول في الخيال العلمي – قام الأديب يوسف السباعي وزير الثقافة بنقل نهاد شريف للعمل مراقبًا عامًا للمعلومات بالمجلس الأعلى للثقافة.
- وحين أنشئت لجنة الثقافة العلمية بالمجلس اختير نهاد شريف عضوًا بها عام ١٩٩٢.
- وهو عضو مجلس إدارة جمعية الأدباء وعضو نادي القصة وعدة أندية أدبية ورياضية مختلفة آخرها نادي اليخت.
- وعضو مؤسس باتحاد كتاب مصر، وعضو مؤسس لجماعة كُتّاب ومحبي أدب الخيال العلمي.
- وعضو لجنة العلم والتكنولوجيا بمكتبة الإسكندرية منذ عام ٢٠٠٠.
- وعضو لجان التحكيم في مسابقات القصة والرواية التي ينظمها المجلس الأعلى للثقافة ونادي القصة وجمعية الأدباء وجهات أخرى.
- ويعتبر نهاد شريف أحد الرواد القلائل المبكرين في مجال أدب الخيال العلمي في مصر والوطن العربي، وأول من تخصص فيه وأول من قدم الخيال العلمي عربيًا في السينما والتليفزيون، كما تعد كتاباته لونًا من الأدب طال افتقار الأدب العربي إليه.
- تدرس حاليًا أعماله وأفكاره في أقسام الدراسات الأدبية بجامعات: القاهرة، عين شمس، حلوان، الإسكندرية، المنصورة، والمنيا، وفي معهد الإذاعة والتليفزيون ومعهد السينما.
- وهناك بحوث أكاديمية أعدت حول أفكاره ورؤاه وجماليات فنه من الخيال العلمي.
- وقد اعتبر الفيلم السينمائي المأخوذ عن روايته "قاهر الزمن" أول فيلم

عربي من الخيال العلمي عرفته السينما المصرية وإن إقدام المرحـــوم الفنان كمال الشيخ على إخراجه خطوة رائدة في مجال السينما المصرية ذات الاتجاه العلمي بدءًا من عام ١٩٨٧.

- حصل على الجائزة الأولى في مسابقة الرواية من نادي القصـــة عـــام ١٩٦٩ عن روايته من الخيال العلمي "قاهر الزمن" ثم ميدالية يوســـف السباعي عن نفس الرواية - كما حصل عام ١٩٧٠ على ثلاث جوائز (أولى/ ثانية/ رابعة) في مسابقة القصة القصيرة - وفاز بكأس الأديب حسين القباني الفضية عام ١٩٧٤ - منح من وزارة الثقافة تفرغًا فـــي الأدب لعامي ٧٢، ١٩٧٣ - في مسقط رأسه بالإســـكندرية مـــنح درع الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ١٩٩٥ - كما منحتـــه كليـــة البنـــات بجامعة عين شمس عام ١٩٩٨ درع الكلية تقديرًا لجهده في إرساء أدب خيال علمي عربي - وفي مهرجان الرواد العرب (الأول) المقام تحت رعاية جامعة الدول العربية عام ١٩٩٩ منح درع الريادة العربية فـــي نشر أدب الخيال العلمي.. - وفي عـــام ٢٠٠٣ منحـــت قنـــاة النيـــل التليفزيونية الثقافية نهاد شريف تمثال المثقف المصري "أوسكار" فـــي احتفالية مذاعة.

- وتضم الموسوعات المصرية التالية اسم الكاتب نهاد شريـف:
  - الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة (هيئة الاســـتعلامات) ١٩٩٢م.
  - موسوعة الأفلام التصويرية لمبدعي مصر (مؤسسة A.R.T) ١٩٩٣م.
  - موسوعة الأفلام السينمائية العربية (هيئة الكتاب) ١٩٩٤م.
  - دائرة معارف الرواية العربية الحديثة (المجلس الأعلى للثقافة) ١٩٩٨م.
  - السينما والأدب في مصر: الأعولم ١٩٢٧-٢٠٠٠ (مكتبة الأسرة) ١٩٩٩م.
  - موسوعة العطاء الفكري بعد الستين (القناة الفضائية المصرية) ٢٠٠٠م.

المؤلفات

أ- في الخيال العلمي:

- قاهر الزمن (رواية) روايات الهلال/ دار الهلال ١٩٧٢م.
- رقم ٤ يأمركم (م. قصص) كتاب اليوم – دار أخبار اليوم ١٩٧٤م.
- الماسات الزيتونية (م.قصص) اقرأ – دار المعارف ١٩٨١م.
- الذي تحدى الإعصار (رواية وقصص) الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م.
- أنا وكائنات الفضاء (م.قصص) كتاب اليوم– دار أخبار اليوم ١٩٨٢م.
- سينما الخيال العلمي (ترجمة) دراسة دينيس جيفورد– دار الأمانة ١٩٨٥م.
- الشيء (رواية) الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٩م.
- أحزان السيد مكرر (مسرحية) الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠م.
- بالإجماع (م. قصص) اتحاد الكتاب العرب – دمشق ١٩٩١م.
- مؤلفات نهاد شريف ج١ (رواية وقصص) الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤م.
- نداء لولو السري (م. قصص) اتحاد الكتاب العرب – دمشق ١٩٩٤م.
- ابن النجوم "الأب" (ثلاثية روائية) ج١ – شركة نهضة مصر ١٩٩٧م.
- الدور الحيوي لأدب الخيال العلمي في ثقافتنا العلمية (دراسة) كراسات مستقبلية – المكتبة الأكاديمية ١٩٩٧م.
- تحت المجهر (رواية) مسلسل أسبوعي بجريدة الأهرام ٢٠٠١م.

تحت الطبع:

١- ج٢ "الابن"، ج٢ "الحفيدة" من رواية "ابن النجوم".

٢- دراسة "العطاء العربي في أدب الخيال العلمي".

٣- رواية "سكان العالم الثاني".

٤- "كُتّاب الخيال العلمي ورؤاهم المذهلة" دراسة تحليلية.

٥- مسرحية "غول الميناء".

٦- "رؤى المستقبل، من كتابات الخيال العلمي" دراسة تحليلية.

٧- دراسة "الممكن والمستحيل من أفكار الخيال العلمي".

ب- في غير الخيال العلمي:

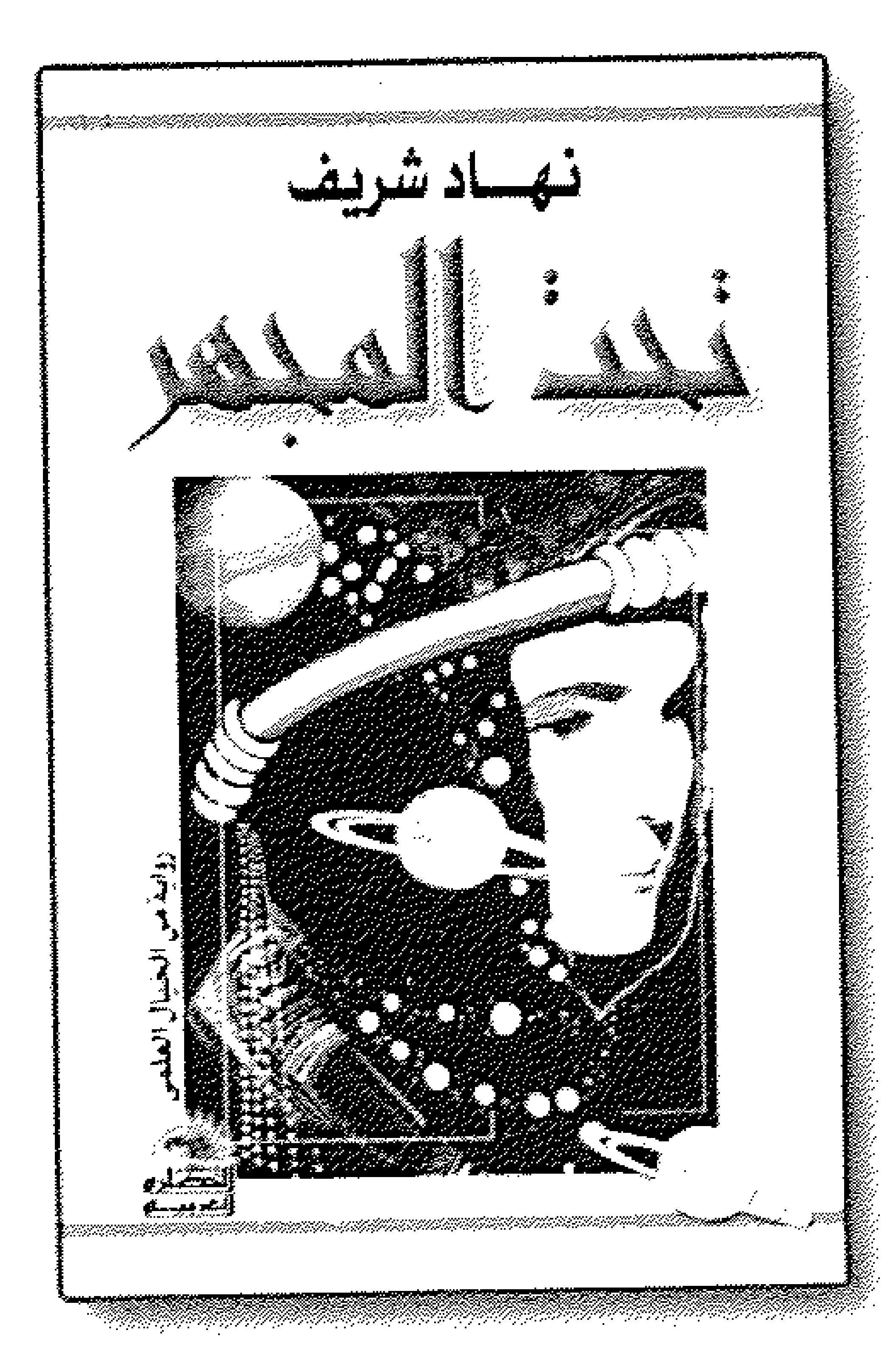
- توماس أديسون معجزة العلم (دراسة) علماء عاشوا بالأمل/ دار المعارف ١٩٩٢م.

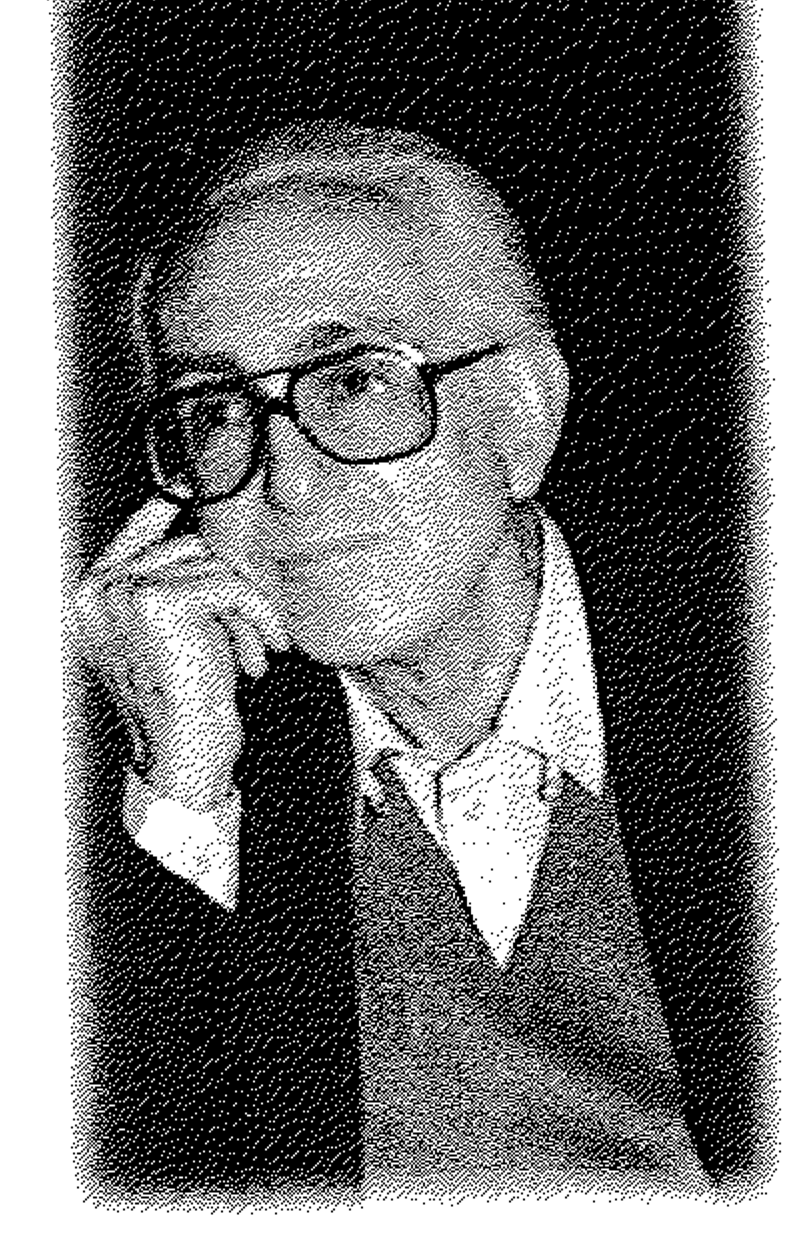
- تأملات في العلم والثقافة (مقالات) الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٦م.

- شارك في مؤلفي: يوسف السباعي في ذكراه (الهيئة العامة للكتاب)/ ألوان من الأدب المصري الحديث (دار كتابي) ٧٩، ١٩٧٩م.

- شارك في مؤلف: أضواء على الثقافة العلمية (دراسة) المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م.

الفهرس





جريًا على خياله الخصب وعرضه الشيق ورؤاه المستقبلية الموحية، رغم غرابة أحداثها وصعوبة إدراك تفاصيلها، يلقى كاتبنا بقلمه ضوءًا غير مألوف على احتمال توافد كائنات عاقلة من عمق الكون إلى بقعة نائية بكوكبنا تختفى فى قلب واحدة من صحراوات مصر، حيث التقت هذه الكائنات ببعض البشر المقيمين بالمنطقة، وملابسات هذا اللقاء غير المتوقع والجهود المبذولة لاحتواء مفاجآته وأخطاره، وما قام به الغزاة القادمون والمدافعون الغاضبون - من محاولات وطرق وأساليب عسكرية للصد والرد وأخرى تقنية شاقة للاتصال، وغيرها ذهنية مضنية للتخاطب بين الأطراف، فى ظروف مباغتة قاسية احتاجت على تسارعها وإلحاحها دقة الإدراك وجدية التأكد واليقين وطول الصبر، لكشف الصواب من اللبس والخطأ وإزالة الشكوك وسوء الفهم، إضافة إلى ما يقدمه الكاتب من مواقف لاهثة وتنبؤات مدهشة تثبت عن جدارة ما يتمتع به من قدرة فائقة على المزج بين الوا
فى إطار من النهج العلمى المتميز، حيث يقرر أن الغره
بين كائنات الكون على اختلاف أنواعها وأشكالها وتبا
تواجدها إنما يعلن دوام بقائها آمنة ويرسخ سبل التواه
والوئام بينها، فمتى عم السلام كافة الأنحاء نعمت مه
بالسعادة الأبدية أينما تستقر.

